روايات عبير

آن هامبسون

قلب في المحيط

روايات عبير

قلب في المحيط

كانت وندي براون فتاة جميلة، مرحة ، وثرية ... او هكذا رآها ركاب الباخرة «فايسون» في رحلتهم الطويلة عبر المحيط الا ان قلباً آخر يخفق في صدرها ، قلب لا يتخيله اولئك الركاب السعداء الذين يبحثون عن مغامرات بين امواج المحيط الهائلة ، كان يصطخب بسرّ رهيب أقسمت الاّ تبوح به لأحد مهما كانت الظروف . لكن القدر يخبىء مفاجآته في احلك الليالي، والرجل المدعو غارث ريفرز جاء يقرع باب ذلك القلب اليائس، فهل تفتح وندي ؟ هل تقول نعم ؟ أم تحاول الفرار حاملة سرها في قلب محطم ؟

... وهل هناك شعاع في آخر النفق ؟

لبنان	٦ ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٧٠٠م
سورية	٨ ل.س	الامارات	٩ د	تونس	١ د	فرنسا	١٠ ف
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	بريطانيا	١ ب
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

١ - الضربة القاضية

جلست وندي معتدلة فوق الكرسي، يداها الباردتان كالثلج تشبثتا بذراعيه، وهي لا تكاد تعي الوجه القائم أمامها بعينين تنطقان شفقة وحاجبين كثيفين رماديين يضفيان على الرجل مظهرا شرسا. كانت واعية للسحب الصيفية الضخمة المحملة بالمطر، تراها من خلال النافذة، وتحجب الشمس، كما كانت منتبهة لتكات الساعة البطيئة الثقيلة. أجل التكتكة البطيئة... وفجأة حولت تفكيرها عنها كما يسحب الانسان نفسه من أغلال حلم مفزع يؤرقه ويدفعه الى الاستيقاظ، لكن برغم الحلم المفزع تكون هناك زفرة ارتياح عند الاستيقاظ، وقالت بصوت يعلو قليلا عن الهمس:

"دكتور هويتيكر، لم تخبرني بعد برأي الاخصائي. لقد رفض هو نفسه أن يكشف لي عن الحقيقة قائلا انه سيكون من الأفضل أن يحدثني طبيبي الخاص، وأنا موجودة هنا منذ نحو خمس دقائق".

واختلست نظرة الى ساعتها ثم استطردت تقول:

"نعم خمس دقائق بالضبط، اذ أن موعدي كان الساعة الثالثة".

وبدا الطبيب كما لو كان يبتلع شيئا يسبب ألما كبيرا في حلقه، ثم استهل كلامه بقوله:

"عزيزتي، انا أعرفك منذ مدة طويلة".

ردت قائلة:

"منذ عشرين عاما، فأنت من جاء بي الى هذا العالم".

ومرة أخرى غص حلقه، لكن صوته بدا حاسما وهو يقول:
"انه ورم في المخ يا وندي، ولا يرى الاخصائي أي أمل على الاطلاق".

وبسرعة حول وجهه عنها، وأدركت بدون أدنى شك أن الدموع تترقرق في هاتين العينين الزرقاوين الطيبتين حينما استدار مرة أخرى ليواجهها.

قالت وندي وقد شابت صوتها نبرة أسى واضحة:
"لا أمل؟ أدركت ذلك بالطبع من التعبير الذي ارتسم على وجه الاخصائي".
"أراد أن يجري جراحة لكنه أدرك أنها لن تجدي، وقد شعر بخيبة أمل عميقة بسبب عجزه".

قالت وهي تبحث عن الدموع، في الوقت الذي استدار الطبيب ليواجهها:
"كم تبقى لي من العمر يا دكتور هويتيكر؟
"أربعة أشهر أو ربما أكثر قليلا".

وحدقت في عينيه بعينيها الواسعتين البنفسجيتين حيث تزاحمت التساؤلات والاحتجاجات، عبر المكتب الفخم المغطى بالجلد والواقع بينها وبين رجل كان عبر السنين صديقاً لها فضلا عن كونه طبيبها:
"أيعني... أنه يمكنني التأكد من أنني سأعيش أربعة أشهر، أربعة أشهر.. نحن الآن في ديسمبر / كانون أول".

اذن لن ترى اطلاقا صيفا آخر او خريفا، وهو الفصل الذي تحبه، أو أي شيئا آخر بعد هذا الشتاء. لن ترى عيد ميلاد آخر لها على الإطلاق.
"أجل يا وندي، هذا ما يعنيه".

وظلت صامتة وهي تدرك أنها صارت شاحبة، لون بشرتها يتغير دائما حينما يغلبها التأثر العاطفي، أصبح أبيض وناعما مثل المرمر، كما يحدث لها في أوقات الانفعال.

وأخيرا مدت يديها وهي تقول:
"ماذا يفعل انسان محكوم عليه بالموت في بحر أربعة أشهر؟ ربما يأتي الموت الآن. أتمنى من كل قلبي أن يحدث الآن"!

صدرت الصرخة من أعماق أعماقها، وكانت صادقة، انها لا ترغب العيش في زنزانة الموت طوال الأشهر الأربعة

المقبلة، وتجاهل الطبيب بقية ما قالته وهو يكرر قولها:
"ماذا يفعل الانسان؟ أية نصيحة ينبغي أن أقدمها اليك"؟

كانت عيناه مبللتين بالدموع، أما فمه، بشفتيه الممتلئتين المزمومتين غالباً، فكان متوترا غير مستقر، وكانت شفتاها ترتعشان، ودقات قلبها أسرع وأثقل من المعتاد وأرخت قبضة يديها على ذراعي الكرسي ووضعتهما فوق المكتب وهي تضمهما الواحدة الى الأخرى ثم ذكرته قائلة:
"انك تقدم لي دائما النصيحة الصحيحة، ودائما تكون حاضرا عندما أحتاج الى التوجيه".

لم تعرف وندي أباها على الاطلاق، لأنه توفي قبل أن تبلغ من العمر عامها الاول، أما أمها فتوفيت منذ عام، وفكرت: إننا أسرة لا تعيش طويلا... راودتها هذه الفكرة وهي تحاول أن تتذكر متى بدأت نوبات الصداع تنتابها، في البداية ظنت أن هذه النوبات نتيجة إجهاد في النظر لأنها تقرأ كثيرا وتعيش وحدها، لكن هذه النوبات كان يصاحبها الشعور بالرغبة في النوم، وأخيرا استشارت الطبيب، ومن بعده الاخصائي الذي كان وجهه متجهما وعيناه غارقتين في التفكير وهو يقول:
"اذهبي وقابلي طبيبك، في مثل هذا الوقت من الغد سيكون قد سمع رأيي".
"لكن...".

ورفع يده ليسكتها بينما كانت تستعد لتوجيه مزيد من الأسئلة اليه وقال:
"طبيبك يعرفك منذ سنوات، وهو الرجل المناسب للتحدث معك حول هذا".
"هل.. هو شيء خطير جدا"؟

بهذا السؤال قاطعته وندي، لكنه أوقفها بحسم.

ونهضت وندي واقفة، لكن بغير اتزان، وبعد لحظة وجدت نفسها خارج الباب أكيدة أنها أصبحت في قبضة خوف مريع.
أخرجها سعال د. هويتيكر الهادىء من تلك الذكرى المفزعة، وأعادها الى الحاضر والسؤال الذي وجهته. وهو سؤال كانت تعرف أنه يفكر فيه والآن لديه الجواب، وافتعلت ابتسامة وهي تسأل بعينيها:

"نعم يا دكتور هويتيكر؟ هل فكرت في شيء أفعله؟

أومأ برأسه، وبدا أسعد قليلا، رغم أن الظلال كانت لا تزال تحوم في عينيه، وتكشف عن مشاعره الداخلية وأسفه العميق، ثم قال:

"أول رحلة حول العالم للباخرة "اس. اس. فايسون" تبدأ في أوائل كانون الثاني - يناير".

واختلست وندي النظر اليه وهي تقول:

"أتقترح أن أشترك فيها. أأستطيع تحمل شيء كهذا"؟

ولهثت ثم أضافت:

"إن كل مدخراتي حوالي مائتي جنيه".

"وال... بيت"!

كم كانت هذه الكلمة صعبة، وأدركت أنه يتساءل كيف تشعر الآن، وسألت:

"البيت؟ أتعني أن أبيعه"؟

أومأ بالايجاب، وفكرت... أية نهاية مزعجة لا تحتمل! بيتها؟ البيت الذي تركته لها أمها، كان كل ممتلكاتها. وهو بحالة جيدة، والأثاث أيضا ما زال بحالة جيدة، معظم اثاثه من نوع جيد وبعضه قديم ونادر.

وقال الدكتور هويتيكر برقة:

"سيدر عليك أكثر مما تحتاجين ياعزيزتي، أعني، ما يكفي للرحلة كي تحصلي على مستوى عال مريح خلالها، وسيتوفر لديك أيضا ما يكفي لثيابك، والأموال التي تحتاجين لرحلة تستغرق ثلاثة أشهر".

وتجهمت، وذكرها، بصوته الرقيق نفسه أنه ليس هناك شخص عزيز لديها ترغب في أن تترك له ممتلكاتها. هزت رأسها موافقة. فليس لها أحد من أقاربها، عدا ابن عم من بعيد، اذن لماذا لا تأخذ بنصيحة الطبيب؟

وقفت وندي تنظر الى جانب الباخرة الخضراء وهي تتحرك ببطء بعيدا عن رصيف الميناء في "ساوثهامبتن". هل ستعود يوما؟ لم يبق لها الآن الا ثلاثة أشهر فقط. أو أكثر قليلا. البيت، اشتراه اول شخص أقبل لرؤيته.

وأعقبت ذلك مكالمة تليفونية لمكتب البواخر، حجزت لها غرفة فخمة خاصة لشخصين كان صاحباها الغيا الحجز في

آخر لحظة ثم بدأت بسرعة في شراء الثياب وأخذ اللقاح المضاد للحمى الصفراء والكوليرا، وبينما كانت تقوم بكل هذا كان يحضر الى البيت كل من يرغب في شراء الأثاث وغيره من الأشياء التي ارادت بيعها. لم يكن لديها وقت للتفكير، ومع ذلك فوراء كل هذا العناء كان هناك شبح الموت الأسود، نهاية كل شيء، ثم أدارت المفتاح لآخر مرة في قفل الباب وهي تخرج منه في ذلك الصباح، تاركة الدكتور هويتيكر ليواصل بيع ما تبقى... كان على استعداد ليفعل كل شيء من اجلها، وإذا حدث وعادت فإنها ستدخل إحدى دور التمريض، حسبما يكون الطبيب قد أعد لها الترتيبات من قبل.

وقررت ألا تفكر طوال ثلاثة أشهر من الآن، واختلست نظرة فرأت جميع وجوه الاشخاص الذين يشتركون في رحلة العمر فرحة. هذان الزوجان المسنان، هل ظلا يوفران طول عمرهما من أجل هذه الرحلة؟ وذلك الرجل هناك، من المحتمل أن يكون من عمال رصف الطرق او البنائين في الأشغال العامة، تلك المرأة، ربما تكون نجمة سينما، وهي غنية بالتأكيد كما هو واضح من المجوهرات التي تتزين بها، والمعطف المصنوع من الفراء الثمين. ذلك الرجل هناك ربما فرنسي. والآخر الذي يقف على بعد قليل منها، قد يكون أحد رجال الأعمال البارزين. وهذان اللذان يقفان بجوار حاجز الباخرة. أحدهما طويل وأسمر جذبتها وسامته عندما لاحظت، بالنظر الى جانب وجهه، ملامح كلاسيكية حاسمة واضحة. الأنف المعقوف والذقن البارز، والخدان عميقتان والبشرة نحاسية. وأدار رأسه ونظر اليها بلا مبالاة ثم استدار مرة أخرى ليتحدث مع صديقه، وألقت وندي نظرة أخرى على الميناء التي بدأت تبتعد. ثم نزلت الى حجرتها الفاخرة في جناح الاثرياء حيث لها حجرة خارجية بحمام، مريحة بكل معنى الكلمة.

حالما أصبحت وندي في حجرتها وقفت قرب خزانة الملابس، وتركزت عيناها على المرآة، ومع ذلك لم تريا شيئا، اذ فجأة اعترتها نوبة من نوبات مرضها وشعرت بأنها تغوص في أعماق الأسى، وتهبط في هاوية سحيقة كل ما فيها ظلام. وما كان فيها من أمل ذاب وطغى عليها شعور برغبة عارمة

في أن تصرخ احتجاجا وتوسلا من أجل العون.

واستلقت على السرير مغمضة العينين. لماذا اشتركت في هذه الرحلة؟ لماذا لم تر أن الحياة ليست الا عذابا خالصا وهي تعيش بين أناس سعداء، يضحكون ويسبحون ويرقصون ويقومون بتلك الرحلات الغريبة التي تنظمها شركة "امريكان اكسبريس" للركاب فترسو السفينة في الموانىء المعينة ساعات معدودة او أياما!

مع ذلك، فبعد الراحة والحمام انتعشت تماما وخرجت تتناول شاي بعد الظهر في "حجرة الملكة". وهي جناح لطيف، تم تنجيد أثاثه باللون البرتقالي، تنتشر فيه المزروعات، مما يضفي مزيداً من الألوان المفرحة اليه، وقدم اليها الشاي والكعك الطازج المصنوع بالكريمة مضيف يبتسم ويرتدي بنطلونا أسود ومعطفا أبيض. وبما انها أحضرت كتابها جلست تستمتع بأول وجبة لها في الباخرة.

ولم تكن قد فتحت الكتاب الا قليلا عندما خطر لها أن تختلس نظرة الى رجلين يدخلان... انهما اللذان رأتهما فوق سطح السفينة خلال الابحار، ونظر اليها الرجل الطويل الوسيم نظرة اللامبالاة نفسها التي ألقاها عليها من قبل، لكن الرجل الآخر، الذي كان يرتدي ملابس أنيقة كصاحبه ولم يكن طويلا ولا وسيما مثله، بدت عليه الدهشة الشديدة عندما التقت عيناه بعيني وندي، وتبودلت كلمات بين الرجلين، بعدها اختلس الرجل الأطول نظرة في الاتجاه الذي تجلس فيه، وبدا أنهما يتحدثان بشأنها، واحمر وجهها رغما عنها، وفجأة هاجمها شعور الوحدة المطلقة، الذي يضع حاجزا بين المسافر الوحيد وبين المسافرين في صحبة أصدقاء ومرة أخرى سألت وندي نفسها: لماذا جاءت الى تلك الرحلة، فقد أصبح التظاهر بأنها سعيدة فوق طاقة احتمالها.

وأنصتت الى صوتيهما وهما يواصلان سيرهما. انه صوت ينم عن أن صاحبيه من المثقفين، لكن أحدهما كان صوته أعلى من الآخر، وبدون سبب على الاطلاق قررت وندي أن صاحب الصوت الأكثر خفوتا هو الرجل الأطول، وبعد لحظة أو اثنتين كانت تسمع الصوتين مرة أخرى، وقد أصبحا الآن قريبين جدا منها، وأدركت أن الرجلين يجلسان أمام

مائدة خلفها، بينما ظهر الأريكة المرتفع والمنجد يشكل ستارة ويوفر عزلة كافية لمن يجلس على جانبيها.

"أنا متأكد أنها هي يا غارث. انها لينيز مافارو. ذلك الوجه الفاتن، وهاتان العينان البنفسجيتان الكبيرتان، وذلك الأنف المرفوع، وذلك الفم الدقيق. انني أعرفها في أي مكان".

"كنت أعتقد أن لينيز مافارو شقراء"!

"أحيانا تكون شقراء، ودائما تكون كذلك في أفلامها، لكنها اذا كانت ستسافر بشخصية مجهولة، فان أول شيء تفعله هو أن تخفي لون شعرها".

"ولماذا تريد أن تخفي نفسها"؟

"ألم تسمع عن أطوارها الغريبة"؟

وجاء رد ساخر ينم عن إزدراء:

"الشيء الوحيد الذي أسمعه عنها هو أنها عثرت على عاشق جديد".

وأعقبت ذلك ضحكة، شعرت وندي أنها صادرة من الرجل الأصغر حجما.

"لا شك أنها تحب أن تزهو بتصرفاتها اللا أخلاقية، لكنها أيضا لديها تلك الميزة الخاصة التي تقودها الى القيام بدور الفتاة البريئة الصغيرة، وحينئذ تقوم برحلة بحرية وهي تخفي شخصيتها. وتطلق على نفسها اسما يناسب الدور الذي تقوم به. ربما يكون ماري أو ماندي. ذلك الاسم الذي يربط المرء بينه وبين الفتاة الصغيرة الخجول التي لم يقبلها أحد على الاطلاق".

"يالها من شخصية غريبة! لم أسمع بمثل هذه الغرابة، لكنني لا أهتم كثيرا بمن هم على شاكلتها، فأنا لم أشاهد أي فيلم لها على الاطلاق كما تعلم".

"أعرف شخصاً عمل معها في فيلم، وهو الذي أخبرني بتصرفاتها الغريبة ومنها أنها، في الفترة بين تصوير الأفلام، يحتمل أن تنتحي بعيدا منتحلة شخصية أخرى كالآن".

صبت وندي الشاي لنفسها، ووضعت السكر فيه وأخذت تحركه وهي شاردة، اذ وجدت نفسها مأخوذة بحديث الرجلين، وكانت قد سمعت كذلك بالشائعات التي تقول أن

لينيز مافارو، نجمة السينما ذات الشهرة العالمية، لديها عادة الترحال تحت اسم مستعار، مخفية أيضا شعرها البلاتيني الأشقر الرائع تحت شعر مستعار أسود، لكن ما لم تكن قد سمعته وندي هو أن تلك النجمة تمتلك تلك الصفة الغريبة، وهي الرغبة في الظهور بمظهر الفتاة البريئة، وتساءلت عن التفسير الذي يقدمه علماء النفس اذا طلب منهم أن يذكروا سبب هذه الرغبة.

وبينما كانت وندي ترتشف الشاي سمعت تغيراً في الموضوع، وعلمت أن أحد الرجلين شريك في شركة لوكلاء العقارات في لندن أما الآخر فلم يذكر شيئا عن مهنته، وقد تحدث قليلا، وكان أكثر تحفظا من صديقه، وقد نم صوته عن الضيق في بعض الأحيان. كادت تراه وهو يرفع يدا واهنة ليمنع التثاؤب، ثم تحدث صديقه مرة أخرى، لكن وندي أخفقت في التقاط كلماته، واعتقدت أنها سمعته يذكر شيئاً مثل "أملي أن تكون قادرا على الاحتفاظ بالسر" لكنها لم تكن متأكدة.

وابتسمت في سخرية بسبب اهتمامها بحديث الرجلين، وطالبت نفسها بأن تعني بشؤونها الخاصة. ومع ذلك، ولسبب مبهم، واصلت التفكير في أطول الرجلين، وهي مندهشة لأن عقلها انشغل بأفكار عن رجل لم تقابله اطلاقا، مجهول الشخصية حتى هذه اللحظة، وخيل اليها أن أطول الرجلين يحاول أن يحتفظ بسر ما.

كادت أن تفرغ من تناول الشاي عندما أرشد المضيف شاباً الى المائدة المجاورة لها، والتقت عيناه بعينيها وابتسم، وردت وندي بابتسامة مماثلة، ثم التقطت كتابها، وبعد عشرين دقيقة فرغت من شرب الشاي ونهضت وفي نيتها استكشاف جزء من السفينة، لكنها ما كادت تغادر الغرفة حتى شعرت بلمسة خفيفة على كتفها، واستدارت لترى الشاب يمسك بكتابها ويبتسم قائلا:

"تركت كتابك على المقعد".

وانتقلت عيناه اللتان تعبران عن التقدير من تقاطيع وجهها الى شعرها الأسود الجميل، ثم عادتا الى وجهها مرة أخرى، فردت قائلة:

"شكرا لك، نسيته تماما".

ومرت لحظة صمت بدا فيها الرجل كأنه لم يقرر بعد اعطاءها الكتاب او اذا كان عليه أن يمضي او يبقى، وأخيرا غامر بسؤالها:

"هل أنت بمفردك".

أومأت وهي تقول:

"نعم، أنا وحدي".

ونظرت اليه بسرعة ولاحظت الوجه الواضح القسمات، والعينين اللتين تحدقان مباشرة في عينيها، والفم الذي يبدو أنه أصغر وأكثر رقة وعاطفية من أن يكون لرجل، وبعد فترة تردد أخرى قال:

"أنا مثلك بمفردي. أيضايقك لو رافقتك الى سطح الباخرة"؟

"لا، ابداً".

وحيرها ردها السريع على طلبه، لكن عندما أدركت أنها لا تشعر بأدنى استياء إزاء اقتحامه خلوتها، توصلت الى الاستنتاج أنها في عقلها الباطن ترغب في صحبة أي شخص، وسمعته يقول:

"حسنا إذن، وسار صامتاً بضع لحظات قبل أن يستأنف حديثه"

"هل أنت مثلي تخلت عنك صديقة كانت سترافقك"؟

"لا، قررت القيام بالرحلة البحرية منذ ثلاثة أسابيع فقط".

"ثلاثة أسابيع! وتمكنت من العثور على غرفة"؟

اوضحت قائلة:

"الغى بعضهم حجزه".

وصلا الى حاجز الباخرة فتوقفت وسألته:

"قلت انك كنت قادما مع صديق"؟

"أجل، حجز في العام الفائت، كما فعلت أنا بالطبع، لكن بمرور الأشهر ظل يلمح لي أنه لا يستطيع تحمل نفقات الرحلة، وأخيرا قرر بصفة نهائية عدم الاشتراك فيها، واسترد ماله، وأنا الآن أقيم في غرفة فخمة خاصة".

"أنا كذلك. الغرفة لشخصين، فهمت أن زوجين مسنين كانا يحجزانها أصلا".

"ربما يكون أحدهما مات"!

قالها مازحاً دون تفكير ثم أضاف:

"هل تعرفين أنه في كل رحلة تقريبا من الرحلات التي تستغرق هذه المدة، يلقى شخص ما حتفه ويدفن في البحر؟ يمكنك أن تفهمي ذلك لأن مثل هذه الرحلة باهظة التكاليف الى درجة أن عددا كبيرا من المشتركين فيها من المتقاعدين المسنين الذي جمعوا تلك التكاليف على مدى سنوات طويلة، واذا أخذنا في الاعتبار عدد الأشخاص الموجودين في الباخرة، ترين أنه من الممكن أن يلقى شخص أو أكثر حتفه في جميع الاحتمالات".

وتوقف عن الكلام، وتجهم وجهه بعض الشيء. ثم قال:

"إنك شاحبة، هل أنت على ما يرام"!

اومأت برأسها ولم تنطق بكلمة، جف حلقها حتى ازدردت لعابها وأخيرا قالت:

"هل اشتركت في رحلات بحرية لقي فيها أناس حتفهم"؟

"أجل، مرات عدة، كنت في احداها في عيد الميلاد الفائت، ولم تكن مدتها تتجاوز ثلاثة أسابيع، لكن اشترك فيها أكثر من أربعة آلاف شخص، وقد توفي اثنان منهم، كانا عجوزين، كذلك لقى طبيب الباخرة حتفه، وقد دفنوا جميعا في البحر، انهم يفعلون ذلك أثناء الليل حينما يكون باقي المسافرين نياما".

أثناء الليل، في الظلام! حتى لا يصاب باقي المسافرين بما ينغص عليهم سعادتهم، يلقون في البحر! يستقرون في الأعماق، في الظلام الدامس، وحدهم في المحيط الواسع. لكن ماذا يهم عندما يكون الانسان قد مات"؟

وحاولت أن تبتسم وهي تقول:

"أرغب في العودة الى غرفتي".

وبدا عليه الاكتئاب قليلا وقال:

"هل ضايقتك بهذا الكلام الكئيب؟ انني آسف للغاية".

كان اعتذاره نابعا من شعور حقيقي، وبدا الأسف العميق على وجهه وهو يقول:

"كم أنا غبي"!

ولو عرف الحقيقة لأدرك أنه أكثر من غبي، وردت قائلة:

"لا تفكر في الأمر".

وكانت ابتسامتها اسهل هذه المرة، قررت ألا تعود

الى غرفتها حيث لا تفعل شيئاً سوى التفكير فيما قاله، وبالتالي تصبح ضحية معاناة مميتة. ودون أن تأسف لانها تكذب مضت تقول:

"هذا لم يضايقني على الاطلاق".

ونظر في وجهها الجميل قائلا:

"كان علي أن أتوقع هذا، ففي الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة لا يفكر المرء في أمور مثل الموت.

وتوقف لحظة عن الكلام ثم قال:

"الى أي مدى كنت قريبا من الحقيقة"؟

أراد أن يعرف عمرها، وارتسمت امائر الفرح على وجهه، اجابته:

"أنا في العشرين من عمري".

"عمر رائع".

قالت:

"لكنك لا تبدو أكبر كثيرا".

"ست وعشرون سنة ونصف بالضبط".

"هل قمت برحلات كثيرة"؟

"الى حد ما، عادة اشتغل عامل حفر عامين أو نحو ذلك، ثم أقوم برحلة الى مكان ما".

"لا بد أنك أرهقت نفسك بالعمل لتقوم برحلة كهذه".

واعترف قائلا:

"ورثت شيئا. نصحني أبي بأن أستثمر الميراث، وقالت أمي انه ينبغي لي أن أساعد شقيقتي بشراء بيت لها، فقد تزوجت حديثا، وأنفقت هي وزوجها أكثر مما ينبغي. تماما كما يفعل معظم الأزواج الشبان هذه الأيام، ومع ذلك فانني حالما قرأت الاعلان عن هذه الرحلة البحرية، قررت أن النصيحة الطيبة لن تجدي لمن كان من شاكلتي يريد رؤية العالم، وهذه الرحلة تحقق الكثير لدرجة أنني لم أستطع مقاومة الاشتراك فيها".

وأومأت وندي شاردة، مدركة أنه يود أن يعرف سبب اشتراكها في الرحلة، وبعد لحظة سكون قالت:

"اشتركت في هذه الرحلة لأن طبيبي نصحني بذلك".

واتسعت حدقتاه وا تسم كلامه بنبرة شك:

"هل كنت مريضة؟ تبدين لي موفورة الصحة".

ابتسمت قائلة:
"شكرا جزيلا لك، اجل، كنت مريضة".
"حسنا، هذه الرحلة ستفيدك بلا شك".
وتجولت عيناه الأفق. السحب بدأت تتجمع وتحجب الشمس في بعض الأماكن. بعد فترة قال مستفسرا:
"في أية صالة تتناولين طعامك؟ انا أتناولها في "بريتانيا".
"أنا في "مطعم الملكة".
ردت عليه بهذه الكلمات فرأت الكآبة ترتسم على وجهه ثم قال:
"انه مطعم النخبة. أما انا ففي أرخص مطاعم السفينة".
ولم تقل وندي شيئا، اذ وجدت نفسها في أرقى الأجنحة لسبب بسيط هو أن الحجز ألغي، وكما هي الحال بالنسبة الى بواخر كثيرة ففي "فايسون" درجة واحدة فقط. وثلاثة مطاعم يتم فيها حجز المقاعد وفقا للثمن المدفوع عن كل جناح، وسأل الشاب:
"هل يمكن أن أراك بعد العشاء"؟
ابتسمت وندي وهي تشعر - للغرابة - بأنها تحسنت معنويا فلن تتجول في أنحاء السفينة وحدها، ردت قائلة:
"يكون شيئا لطيفا".
وقدم الشاب نفسه في الحال باسم شو ستيسي، وقالت وندي:
"اسمي وندي "وندي براون".
ضحك قائلا:
"اسم حلو وبريء".
اكتفت بالابتسام ولكن، فيما بعد، وهما يتجولان معا في أنحاء الباخرة لمحاولة اكتشاف كل شيء، وجدت وندي نفسها تضحك في أكثر من ثلاث مناسبات، وشكرته، في سرها، لروح الدعابة الدافئة التي أبداها، خاصة أنها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع لم تظهر الضحكة على شفتيها.
كان الثوب الذي ارتدته للعشاء تلك الليلة من المخمل الأخضر الناعم، له خصر مرتفع وينسدل برشاقة على قوامها الجميل، وضعت في شعرها نجمة صغيرة رقيقة مصنوعة

من اللآلى المنمنمة، وهي قطعة حلى قديمة ورثتها من جدتها الكبرى، كانت زينتها الوحيدة الأخرى سوار ذهب عادي مع ذلك عندما دخلت المطعم، تحولت عيون كثيرة في اتجاهها لتتابعها تتقدم نحو مائدتها بارشاد أحد المضيفين. كانت المائدة لأربعة أشخاص، جلست عليها بالفعل سيدة أخرى متوسطة العمر، ابتسامتها جاهزة تكشف عن صف بارز من الأسنان، وأرادت أن تتقرب من وندي بعدما غادر المضيف المكان مباشرة، وسألت:
"هل أنت وحدك يا عزيزتي؟ اسمي مارجي سترومبرنغ، الجنسية أميركية".
وفكرت وندي وهي تضحك ضحكة مفاجئة أنه لاحاجة لأن تخبرها بذلك واجابتها أنها وحدها واسمها وندي براون، وهزت السيدة رأسها كما لو كانت تشير بذلك الى موافقتها على الاسم ثم سألت وندي:
"من أي جزء من الولايات المتحدة جئت؟"
"كونيكتيكت ياعزيزتي، زوجي كان يزرع التبغ، لكنه مات خسارة لأنه كان سيستمتع برحلة مثل هذه آه ها هما رفيقانا".
ورسمت السيدة ابتسامة جاهزة أخرى بينما جلس رجلان. أما وندي فكانت أيضا تعتزم الابتسام لكنها شعرت بالخجل، لسبب مبهم تلاشت كل الأحاديث التي تجاذبتها مع مسز سترومبرغ على الفور، لأن هذين الرجلين كانا اللذين رأتهما فوق ظهر السفينة، ثم مرة أخرى في غرفة الملكة لدى تناول الشاي، وتمت عملية التعارف بين الجميع، ووجدت وندي عينيها تنجذبان نحو وجه غارث ريفرز الوسيم، الذي كان يتفحصها بلامبالاة، لكن صديقه حدق فيها بدقة، وارتسمت تقطيبة بين عينيه وغمغم بينه وبين نفسه:
"وندي براون!"
ثم غمز بأغرب نظرة الى صديقه:
وقدم الطعام على ضوء الشموع ووسط كؤوس الشراب، وقام بالخدمة موظفون لطيفون يبدو أنهم يستمتعون بعملهم كل المتعة. كيف سيكون حالهم بعد ثلاثة أشهر؟ فكرت وندي وربما قبل هذه المدة بفترة طويلة سيشعرون بالملل

والارهاق من كل هذا السعي بين الموائد لخدمة رفاق اثرى وأسعد حظا يستمتعون بمباهج الحياة، أكثر منهم.

اتسم الحديث بالرسميات الى حد ما في البداية، ورأت وندي أن غارث ريفرز هو السبب في ذلك، وبالتأكيد ليس لمارجي سترومبرغ علاقة بهذا لأنها تثرثر طول الوقت تقريبا، أما فريزر غولدن الرجل الذي بدا كأنه عاجز عن تحويل عينيه عن وجه وندي لحظة واحدة، فقد كان ذلق اللسان الى حدما، أما وندي وغارث فقد قنعا بالانصات، وليس لدى أى منهما أى ميل لأن يفعل أكثر من الاهتمام برقة بالطعام اللذيذ الذي يوضع أمامهما، وعندما انتهت الوجبة تبادل الجميع تحية المساء، ووجدت وندي نفسها تغادر المطعم مع مارجي. واندفعت السيدة الأميركية في الحديث قائلة:

"ياله من ثوب رائع، يزيد من جماله أنك نحيلة، أما أنا فإنني أحب الطعام كثيرا الآن، وهذا ضعف فظيع يا عزيزتي، لا تسمحي لنفسك أن تصلي الى هذا الحد أبدا. إنك تبدين في العشرين من عمرك، والمرءلايبدأ وزنه في الزيادة إلا عندما يتجاوز الأربعين."

"الاربعون؟"

عندها فكرت وندي في مرور الوقت بقسوة منذ علمت بمصيرها وتساءلت حول ما سوف تقوله السيدة الأميركية لو أخبرتها بأنها لن تصل أبدا الى الحادية والعشرين، فما بالك بالأربعين؟

وظلت السيدة تثرثر، وكانت ستظل هكذا لو لم تعتذر وندي لتنسحب قائلة إن لديها موعدا عليها أن تفي به.

"هل وجدت صديقا بالصدفة؟"

وترددت وندي لحظة لكنها قالت:

"أجل، في الواقع وجدت صديقا."

وبعدما تبادلتا تحية المساء سارت وندي عبر سطح السفينة حتى وقفت بجوار الحاجز لحظات عدة. فلن تقابل شو قبل ربع ساعة تقريبا.

وظهر شخص آخر لكنه كان في هذه اللحظة في الظلال، لذلك لم تر وندي إلا ما يشبه طيفه، ولم تكن لتخطىء طوله ومشيته، فعرفت من هو حتى قبل أن يظهر وجهه وهو

يعبر خلال شعاع ينساب من نافذة مفتوحة لأحد الأندية الليلية، إنه غارث ريفرز.. أحد الرجلين اللذين سيشاركانها هي والسيدة الأخرى المائدة بقية الرحلة، وتجهمت وندي وهي تشعر بالاستياء لأنها ستعاني من صحبته عندما أصبحت واثقة أنها ستبدأ في الملل منه حتى قبل أن ينقضي أسبوع واحد، فقد كان جافا ورسميا للغاية، ومتحفظا في كلامه الى أقصى حد، وظل وجهه النحيل الوسيم لايبتسم مهما كانت المناقشة الدائرة حوله، والواقع أنه بدا متبرما بالفعل، تساءلت عما سيكون حاله عندما ترسو الباخرة مرة أخرى في ساوثهامبتن في بداية نيسان - أبريل.

وراقبته وهو يتجه نحو جانب الباخرة على بعد أقدام قليلة من المكان الذي وقفت فيه، ورأته يتكىء على الحاجز، وقف ساكنا كما لو كان تمثالا، يحملق في الليل الحالك.

وكانت وندي على وشك أن تتحرك مبتعدة عندما رأت شو يقترب في خطوة رشيقة سريعة، وقال عندما وصل الى جوارها:

"جئت مبكرة. كنت انوي السير على طول السطح لبضع دقائق".

"وبدون تردد اضاف ذراعه الى ذراعها، وسار بها نحو النادي الليلي، وبينما كانا يمران بجوار الرجل الطويل الواقف قرب الحاجز، أدار الأخير رأسه والتقت عيناه السوداوان بعيني وندي، ولمحت طيف ابتسامة على شفتيه، ورأت أن تعبيره يدل على الاستخفاف المختلط بالسرور ورفعت رأسها ولمعت عيناها... ما الذي يشعره بالسرور؟ كانت تسأل نفسها وهي تدخل النادي الليلي مع رفيقها، لو نظر اليها هكذا مرة أخرى لما ترددت في أن تسأله.

٢ - نجمة بلا بريق

الباخرة "فايسون" تتجه نحو نيويورك، أول ميناء ترسو فيه أثناء رحلتها، بعد ثلاثة ايام في البحر. أدركت وندي أن شو أصبح مرتبطا بها فعلا أكثر مما هو يجب، وصممت الا تتسبب له في أي أذى، لذلك واجهتها المهمة الصعبة أن تبعده عنها، قبل أن يصبح متعلقا أكثر رغم أنها أحبته لكنها لن تشجعه، ليس في هذه الاحوال. فاذا كانت ستدفن في البحر فانها لا تريد أن تترك وراءها شابا جريح القلب.

أذهلتها أفكارها في ذلك الوقت، وهي تنظر الى الموقف بمثل هذه الطريقة الموضوعية الحذرة، كما لو كان ذلك ليس موقفها بل موقف شخص آخر، وبما أنها كانت ستقابل شو بعد دقائق قليلة اتخذت طريقها الى حمام السباحة حيث تقابلا في اليوم السابق في الساعة نفسها وتناولا القهوة معا على إحدى المناضد المصطفة حول الحمام، وكان هو هناك بالفعل، وأكد وجهه شكوكها، اذ أضاءت عيناه الواضحتان حالما رآها تقترب، وكانت ابتسامته طبيعية تلقائية.

"رائعة".

هتف من دون أن يهمه اذا كان الآخرون سمعوه. ثم أضاف:

"اللون الأخضر يلائمك تماما".

ابتسمت وشكرته لاطرائه، وهي تدرك أنها تبدو جذابة بصفة خاصة في السروال القصير، ورداء الشاطىء

المنسجم الألوان، ألقته على كتفيها جزافا، لكن بطريقة مغرية، وسألت:

"هل ستسبح هذا الصباح"؟

أخبرها أنه كان في حمام السباحة بالفعل، وقال بعدما طلب القهوة:

"كنت أفكر أننا يمكن أن نلعب لعبة "حلقة الرمي" على سطح السفينة هذا الصباح، واذا كان يناسبك نذهب معا الى المطعم الذي يقدم مأكولات باردة في جناح "مشروبات المحيط"، ويعني هذا أننا لن نضطر الى الافتراق لتناول الغداء".

حبس أنفاسه في انتظار ردها وهو متشوق، تبدو عليه لهفة الشباب.

وعبست في داخلها وهي تشعر بالغضب من نفسها لأنها سمحت بقضاء كل وقتها معه بهذا الشكل، فقد ظلا معا ثلاثة أيام بأكملها، ثلاثة أيام تحدثا خلالها وضحكا معا، وسبحا ورقصا وتناولا المشروبات في "مطعم المسرح" وشاهدا أحد الأفلام، واستكشفا الباخرة وقضيا وقتا مرحا في الكازينو. ثلاثة أيام مشحونة بالعواطف. والآن! نظرت اليه وقالت:

"شو، لدى شيء سيخيب آمالك، لا أستطيع أن أقضي وقتي كله معك بهذا الشكل. أريد أن أكون وحدي احيانا".

وارتسمت الكآبة على وجهه، وأحست بأسى عميق، اذ كان لطيفا الى درجة لا يجب معها عدم إيذاء شعوره، مع ذلك، لو سمحت باستمرار الامر لوقع في حبها بعد وقت قصير، مما يعني أنه سيتعذب عذابا أليما بعدئذ وغمغم قائلا:

"احيانا"؟

وكأنه يقدم تنازلا، أضاف:

"فليكن، لا أريد أن أحتكرك تماما، لكن".

وسكت عندما ظهر المضيف يحمل القهوة ويضعها أمامهما، ثم واصل كلامه قائلا بجدية، وهو ينظر في عينيها مباشرة:

"انني أميل اليك يا وندي، أميل اليك كثيرا في الواقع".

وتنهدت، لأن تلك النظرة كانت تحمل كل آماله، والتقطت فنجانها وبدأت ترتشف القهوة، وبصعوبة بالغة سلمت بالواقع لكنها قالت في حزم:

"لا يمكن أن نكون أكثر من رفاق يا شو".
اشار بيديه قائلا:
"لكنك غير مرتبطة بأحد كما أخبرتني".
وفي نبرة فتور تعمدت أن يتسم بها صوتها ردت قائلة:
"ولا أنوي أن أرتبط بأحد، لأنني ميالة الى الوحدة".
واردف بحدة:
"لا .. لا أعتقد أن فتاة مثلك يمكن أن تكون كذلك - وندي - أرجوك أن تكوني صديقتي العزيزة جداً".
ثم مد إحدى يديه اليها عبر المائدة متوسلا.
واومأت برأسها فهي لم تتسبب طول حياتها في ايذاء أحد كما تؤذي هذا الشاب، مع ذلك عليها أن تفعل، يجب ألا يتعلق بها قلبه الى هذا الحد، وقالت:
"أرى الأفضل لنا ألا نلتقي على هذا النحو أو نخرج معا كما كنا نفعل فكما قلت، أنا ميالة الى الوحدة، أرجوك لا تقاطعني، انني أشعر بسعادة أكبر وأنا هكذا".
وهنا حدقت فيه مباشرة وهي تقول:
"أنت نفسك ستكون أسعد حالا"!
ومرة أخرى منعته من مقاطعتها وهي تواصل كلامها:
"انني أعرف ما أتحدث عنه، كذلك ستعرف أنت أيضا يوما ما".
"أنا لا أفهم"...
هكذا بدأ حديثه عندما قاطعته قائلة، وصوتها يفقد نبرة الفتور متسماً بنبرة رقيقة:
"ستفهم وستفهمني".
وانفجر قائلا:
"اشرحي لي، لا حاجة بك الى هذه الطريقة الغامضة في الكلام. وأطل الغضب من عينيه، لكنها لا يمكن أن تتخذ موقف الهجوم فان غضبه نابع من شعوره بالايذاء، ومرة أخرى تحدثت بنبرة ناعمة رقيقة":
"التفسير الوحيد الذي أقدمه أنني أفضل أن أكون وحدي.
كانت تلك كذبة فهي لا ترغب أن تكون وحدها خلال الرحلة، وحدها على مدى الأسابيع القليلة الباقية من حياتها. قال والمرارة تقطر من صوته":

"فهمت، وينبغي لي أن أقبل قرارك، لكنني أريد أن أخبرك بصدق انني كنت آمل في أن نصبح أكثر من صديقين".
وقالت وهي تبتلع غصة أصابت حلقها:
"انت لم تعرفني منذ مدة طويلة. ولا تعرف أي نوع من الأشخاص أنا".
هز رأسه. ثم نظر بعمق في عينيها البنفسجيتين الجميلتين وقال:
"اعرف أي نوع من الأشخاص أنت، أعرف أيضا أنه كان ممكناً أن تكوني الفتاة الملائمة لي".
وانتظر، وكان واضحا أنه يتوقع ردا منها، ربما راوده الأمل في أن تغير رأيها. وعندما امتنعت عن الكلام قال مرة أخرى:
"يجب أن أتقبل قرارك".
وتوقف لحظة وهو يلهو بالملعقة، ثم استطرد:
"الا يمكن أن نتقابل بين حين وآخر؟ ونذهب للرقص او لمشاهدة فيلم"؟
وفي الحال هزت رأسها وهي تقول:
"لا، انا آسفة هذا لن يجدي على الاطلاق".
وخفت صوتها عندما لمحت الرجل الذي يوشك أن يغطس في حوض السباحة، غارث ريفرز. الرجل الذي يجلس أمامها أوقات تناول الطعام، عرفت شيئا أو شيئين عنه في الأيام القليلة الماضية بعضها لم يعجبها على الاطلاق منها أنه كان يبدي الفتور والسخرية عندما يدور الحديث حول النساء. وبينما كان صديقه ثرثارا كان هو متحفظاً. بدا فريزر مستعدا لتقديم بعض المعلومات عن نفسه كان غارث متحفظا تماماً. انه أعزب يراوح عمره، كما قدرت وندي بين الثلاثين والخامسة والثلاثين. ودائما يحيط نفسه بجو من الغطرسة والتعالي. وجدت وندي أن هذا غير محتمل، وكي تنسى كانت تغوص في حديث مع مارجي سترومبرغ. وعندما كان يحدث هذا، كانت، لدهشتها، تلاحظ تجهما في بعض الاحيان على وجه غارث ريفرز المتعالي. ويكون هذا التجهم واضحا للغاية الى درجة لا يمكنها أن تخطئه للحظة. كان يبدو متبرما الى أقصى حد بالسيدتين الموجودتين على مائدته ويعتبر حديثهما تافهـا يـدل عـلـى

الغباء. كل شيء تافه. كل تعليق بدون هدف. ومن جانبها كانت وندي تود لو أنه طلب تغيير مكانه، لكن مارجي سلبت لبها نظراته الرقيقة ومظهر الأرستقراطية الذي يحيط به نفسه.

وذات ليلة وهي خارجة من المطعم مع مارجي، بادرتها الأخيرة بقولها:

"ألسنا سعيدتي الحظ بوجوده على مائدتنا؟ ألا تلاحظين أن الإناث ينظرن اليه نظرات ولهة لكنه محصن تماما ضد مناوراتهن، أراهن أنك أنت وأنا محسودتان من كل سيدة في هذا المطعم".

وهزت وندي كتفيها ولم تقل شيئا، فهي لا تحب ذلك الرجل الى حد كبير لذلك رأت أن طريق الدبلوماسية أنسب الطرق. وقطع شو سلسلة أفكار وندي حين قال:

"لا أعرف لماذا أنت واثقة الى هذا الحد من أن الأمر لن يجدي؟ يمكننا بالتأكيد أن نكون متآلفين معا".

"متآلفين، أجل".

ردت وندي بالموافقة وعيناها لا تزالان تتابعان غارث ريفرز الذي أصبح الآن يسبح بقوة. ثم أضافت:

"لكن ينبغي ألا نكون متصاحبين".

ونظر اليها شو باستغراب، وفتح فمه ليقول شيئا لكنه أغلقه ثانية وارخى كتفيه مستسلما، ثم غير الموضوع، لكن وندي لم تدرك مما قاله شيئا اذ أن اهتمامها كله كان مركزا على غارث ريفرز الذي نظر الى أعلى فجأة فباغتها وشعرت أن وجهها احمر خجلا، وارتفع حاجباه قليلا قبل أن ينشف الماء، ويتقدم نحو الطرف الأقصى من الحوض.

واعادت وندي اهتمامها الى شو، محاولة أن تنصت الى ما يقول، لكنها - للغرابة - كانت مشغولة البال، وارتاحت عندما استأذن شو بالانصراف بعدما انتهى من تناول قهوته، وتركها جالسة هناك وحدها. سكبت لنفسها فنجانا آخر من القهوة وتركت الرداء ينزلق عنها، واستلقت تتمتع بأشعة الشمس الدافئة.

كان شيئا لطيفا أن تراقب الناس في الحوض وشعرت بالاسترخاء التام، ومع ذلك أدركت، بحدسها، أنها

سجينة، وأنها قريبا جدا ستتطلع الى رفاق لانقاذها من التفكير المستمر في الظلام الذي ينتظرها، وقررت أن تختار لها صديقة، ومع ذلك فانها في هذه اللحظة قانعة بأن تحيا في الفراغ الذي لا يوجد فيه مكان للماضي ولا للمستقبل، هذه اللحظة هي هذه اللحظة وعليها أن تعيشها.

ومن حين لآخر كانت عيناها تلمحان غارث ريفرز الوسيم، وتصبح عاجزة عن تحويلهما عنه. خرج من الماء وجلس على حافة الحوض بضع لحظات، ثم أمسك منشفة كان واضحا أنه أحضرها معه، واستلقى على كرسي وبدأ يجفف نفسه ثم ألقى نظرة حوله فرأى وندي وحدها، ولدهشتها اقترب من المائدة التي كانت تجلس اليها وتساءل:

"وحدك تماما"؟

وعندما أومأت بالايجاب سأل مرة أخرى:

"أيضايقك أن أجلس معك"؟

"لا، على الاطلاق".

ردت وندي بذلك وهي تحاول أن تبدو اجتماعية بينما تحاول أن تكبت مشاعر الضيق التي انتابتها لاقتحامه خلوتها، وبعدما طلب القهوة قال:

"ما الذي حدث لصديقك"؟

كان السؤال عرضياً واعتقدت أنه يتسم بالسخرية أيضا.

"شو؟ ذهب الى مكان ما".

وظهرت تقطيبة خفيفة على جبهته، ثم قال:

"كنت أتصور أن الموضوع يتخذ صفة الجدية".

مرة أخرى ظهرت لهجة السخرية التي يتسم بها حديثه. وحيرها أن يعاملها هكذا فقد أظهر موقفه الاحتقار الخفيف من اللحظة الأولى للقائهما حول مائدة العشاء ليلة أبحرت الباخرة، وبدا كأنه يعرف شيئا عنها لا يعجبه، أما موقف فريزر فكان مختلفا عن موقفه تماما، لكنه محير بالقدر نفسه فهو أيضا كأنما لديه بعض المعلومات عنها، لكنه تقبل الأمر وصمم على أن يعاملها بطريقة ودية رغم ذلك.

داخلياً هزت وندي كتفيها بلا مبالاة. لا تهم الطريقة التي يعاملانها بها. ومع ذلك، نظرت الى رفيقها ورأت جانب وجهه بعدما استدار لسماعه ضحكة آتية من ناحية

الحوض. كم هو وسيم ومن غير المعقول ألا يكون وقع في شباك الزواج حتى الآن! كان ينظر بطريقة تنم عن الاستغراق في التفكير الى فتاة شقراء رائعة، ترتدي أقصر ثياب البحر وتجلس برشاقة واسترخاء على حافة حوض السباحة، وتربت برفق على شعرها بمنشفة ذات ألوان بهيجة وبينما كانت وندي تراقبه رأت وجهه يتغير، وابتسامة خفيفة تلمس شفتيه، وتذكرت أنها رأت غارث ريفرز يرقص مع هذه الفتاة ويلعب أيضا معها بعض الألعاب على سطح الباخرة.

ووصلت قهوته، وضع السكر في الفنجان لكنه كان شارد الذهن، ورفعه الى فمه. هنا توقف وانتبه الى نظرة وندي المحدقة فيه، وأدار رأسه والتقت عيناه بعينيها، لسبب مبهم تصاعد الدم الى وجهها، وأسدلت رموشها الطويلة الحريرية، وبدا كما لو كان يصدر صوتا بفمه، لكنه صوت مكتوم.

تحركت بقلق وهي تشعر كأنها تلهث في مواجهة تلك النظرة الفاحصة المتعمقة، وكان هذا غريبا، وأدركت أنها رغم شعورها بالسعادة منذ لحظات قليلة بأن تبقى وحدها فترة من الوقت فقد شعرت الآن بنوع غريب مبهم من السعادة لأنه يجلس هناك على الجانب الآخر من المائدة.

وتحركت عيناه القاتمتان لتتفحصا ثنيات عنقها الجميل، ثم تلك الثنيات الحلوة أسفلها، وتغير لون وجهها، ولدهشتها مزقت رعشة خفيفة الجمود البارد على وجهه، ومرت لحظة قبل أن يفتر ثغرها عن ابتسامة مترددة، ورأت عينيه تتسعان، وأدركت أنه يحاول جاهدا اخفاء اهتمامه بها، وأخيرا قال:

"لم تأت وانت مستعدة للسباحة، لكنني انصحك بغطسة: ما رأيك"؟

وتضاعفت دهشتها من هذه الدعوة وقالت متلعثمة:

"أتعني.. أن أذهب وأغير ملابسي"؟

وانفجرت الرعشة البادية على وجهه في ضحكة اجاب بعدها قائلا:

"انه شيء واضح".

تحولت نظرته اليها الآن الى نوع من التقدير السافر

ثم أضاف:

"لا يمكن أن تغطسي للسباحة وأنت هكذا".

وبعد ربع ساعة كانت في حوض السباحة، وغارث يسبح قربها وعندما خرجا بعد مدة وجلسا على حافة الحوض يتجففان هتفت قائلة:

"كم كان الحمام رائعا! أشكرك على النصيحة".

وبلهجة رقيقة مهذبة تنسم بالفرح قال:

"انها متعة لي، ينبغي أن نكررها مرة أخرى".

وأسرعت دقات قلب وندي بشكل أذهلها، وألقت نظرة خاطفة حولها وكلها أمل ألا يلحظ غارث ارتباكها، وفي تلك اللحظة ظهر فريزر، وسأل هل يمكنه أن يجلس، وكما يحدث دائما حينما تكون موجودة، أبدى نوعا غريبا من الاهتمام بها، وحدق لحظة خاطفة في وجهها وعينيها، وركز على شعرها وقطب جبينه كأنما يحيره شيء بشأنها يحاول أن يسبر غوره. وكالعادة عبر اهتمامه المدروس بسرعة وبدأ يثرثر بالطريقة التي أصبحت الآن مألوفة لديها، وفكرت كم من الغريب سرعة تعارف الناس في رحلة بحرية كهذه، يرجع هذا بالطبع، الى الصلة المستمرة مع أولئك الذين يجد المرء نفسه بينهم، اما نتيجة المصادفة، كما يحدث عند المشاركة في مائدة واحدة، او بالاختيار، كما يحدث الذين يختارهم المرء أصدقاء وبعد ثلاثة أيام فقط شعرت وندي كما لو كانت تعرف هذين الرجلين منذ أسابيع اذ من البداية استخدمت اسماءهم الأولى على المائدة.

كان فريزر يتحدث الى غارث بينما وندي تجلس في مقعدها سعيدة بالانصات، تركزت عيناها على تلك اليد الممدودة بتكاسل فوق المنضدة، يد غارث الطويلة النحيلة. يمكن أن يكون صاحب هذه اليد عازف بيانو او فنانا - هكذا فكرت، لكنه بالطبع مجرد تخمين.

وعلى مدى الدقائق القليلة التالية، ولعدة مرات، أصبحت وندي واعية تماما لعيني غارث وهما تتحولان الى وجهها من آن لآخر، ويتبادلان النظرات - نظرات خاطفة لكنها متكررة، وسرى في جسدها احساس بدغدغة غريبة لم تشعر بها من قبل إطلاقا.

خفت الحديث بين الرجلين عندما جالت ببصرها تحاول اكتشاف مهن الناس، هذا الرجل القوي هناك يمكن أن يكون احد أكبر رجال الاعمال، وذلك الطويل البارز العظام من المحتمل أن يكون مدير بنك متقاعد. والزوجان الشابان اللذان يسبحان في الحوض، وهزت وندي رأسها عجبا من أن يكون في مقدور مثل هذين الشابين أن يتحملا الآلاف العديدة من الجنيهات التي تتكلفها الرحلة البحرية. إن وجود الأشخاص المسنين فوق الباخرة يمكن تفسيره بطرق عدة فهي تعرف زوجين متقاعدين أنفقا مدخراتهما على رحلة بحرية حول العالم من هذا النوع. وقطع صوت غارث السريع الحاد سلسلة أفكارها حينما سأل:

"فيم تفكرين يا وندي؟"

ارتسمت ابتسامة تلقائية على شفتيها وهي ترد قائلة:

"كنت ألعب لعبة التخمين."

وعندما لاحظت أنه رفع حاجبيه تساؤلاً مضت تفسر كانت تفعله. فقال مضيفا:

"إنك تتساءلين كيف ولماذا يوجد هؤلاء الناس على متن هذه السفينة:."

وأومأت بالايجاب، ومن دون أن ينتظر الرد استطرد وهو يلقي نظرة حوله بلامبالاة:

"كثيرون يملكون المال والوقت الكافي لقضاء ثلاثة أشهر فوق باخرة للترفيه."

وتوقف لحظة. وحدق مع صديقه فيها بدقة الى حد أنها بدأت تشعر بشيء من الضيق، وبدأ عقلها يناقش السبب في تحديقهما المفاجيء وارادت تحويل اهتمام الرجلين عنها، فقالت بلهجة التسليم:

"الواضح أن بعضهم من المتقاعدين ، في حين أن الآخرين من الأثرياء، لكن بعضهم يحيرني أمره."

أضافت هذا القول من دون تفكير، وفي الحال تدخل غارث قائلا وقد ضاقت عيناه:

"أعتقد أنك نفسك تحيرين البعض، اذ ليس من المعتاد أن تشترك شابات وحيدات في مثل هذه الرحلة الباهظة."

واحمر وجهها، لكنها امتنعت عن ذكر أية معلومات

عن نفسها وهذا طبيعي، وبعد لحظة قال غارث برقة، بطريقة شعرت أن لها مغزى:

"من المحتمل جدا أن هناك سيدات من نجوم السينما فوق السفينة ربما يقمن بالرحلة تحت أسماء مستعارة."

وهزت رأسها وتذكرت أول حديث سمعته عفوا بين الرجلين. ثم نظرت الى غارث وقالت:

"أجل، هذا ممكن، وأتوقع أن يناضلن من أجل الحياة في عزلة لبعض الوقت، بعيدا عن الأضواء والدعاية المستمرة التي تحيط بأمثالهم:

أعقب ذلك صمت غريب ثقيل غامض، ولسبب مجهول رغم أنها لم تستطع بأي حال أن تفسر مشاعرها أو تفهم لماذا تتأثر بالصمت بمثل هذا العمق، شعرت ان الرجلين يثيران فيها الحزن. وقال غارث بلهجته المقتضبة نفسها:

"وندي لو كنت نجمة سينما هل كنت تناضلين من أجل العزلة قليلا؟"

ومرة أخرى اومأت برأسها وردت بدون تردد:

"أجل، اعتقد أنني كنت سأفعل ذلك، فالانسان أولا وقبل كل شيء، ينبغي أن يعيش حياته، وغض النظر عن مهنته، ألا توافقني؟"

"أجل... أوافقك."

وظلت عيناه مركزتين على وجهها لمدة طويلة قبل أن يلتفت بعد نظرة سريعة في اتجاه صاحبه ثم نظر حوله بفضول متأفف الى أولئك المجاورين له، وقال:

"الرجل الكبير على يميني هو بولدريك ستافورد رايمان عملاق صناعة الغزل والنسيج."

وأكمل فريزر بجدية سريعة:

"والسيدة التي معه هي سكرتيرته."

"والسيدة التي ترتدي البكيني الأزرق اللامع مليونيرة، تقيم في البواخر دائما."

واستدارت وندي لتنظر اليه باستغراب وهي تهتف:

"دائما! دائما!"

"هذا صحيح، مواعيد جميع الحفلات البحرية ترسل اليها فتنتقل من سفينة الى أخرى، وهناك كثيرون يفعلون هذا."

واستطرد يبدد نظرة الشك التي تبديها وندي ويقول مبتسما :

"انهم الناس الوحيدون في العالم الذين يجدونها الطريقة الفضلى للعيش. لكن وندي كانت تهز رأسها اعرابا عن رفض كلامه وأكدت قائلة:

"لا يمكن أن تكون جذابة دائما . لابد أنهم يعيشون في وحدة قاتلة ويحاولون الهرب منها . انها مأساة."

قالت هذا الكلام بصوت قلق مع نبرة اشفاق، وارتسمت تقطيبة على حاجبي غارث أدت الى اقترابهما الواحد من الآخر بينما كان ينظر اليها نظرة فاحصة من عينيه اللتين ازدادتا ضيقا .

"الواضح انك سريعة التأثر بالانطباعات الخارجية."

قال هذه الكلمات بنبرة دلت على ان اكتشافه هذه السمة الخاصة أثارت عجبه . لكن لم يكن لديها ما تقوله رداً، وكان اسلوبه متسما بالسخرية فتصاعد الدم الى وجهها . لماذا يتخذ هو وفريزر هذا الموقف الخاص ازاءها؟ ما الذي يجدانه مضحكا فيها ؟ قالت انها ستسأل غارث والآن صممت على ذلك حين وجدت نفسها وحدها معه مرة أخرى . فقد كانت تلحظ نظرة مرح في عينيهما احيانا وتشعر بوجود طرافة طول الوقت، لكنها الآن تستشعر ضيقا الى حد ما .

استأذنت بالانصراف، وحينما وصلت الى السلم تبعها شو وقال بنبرة اتهام:

"الم تقولي إنك تفضلين البقاء وحدك، ومع ذلك كنت تجلسين مع هذين الاثنين لمدة عشرين دقيقة، وقبل ذلك كنت مع واحد منهما !" كان وجهه عابسا وصوته متسما بالاستياء ورثت لحاله، وهي تدرك مدى كآبته، لكنها رأت أنها، لمصلحته، يجب أن تتخذ أسلوبا متباعدا فاترا معه، وقالت:

"ليس بوسعي عمل شيء، لو أتى بعضهم وجلس معي، أنني لا أحجز طاولة لي وحدي! واحمر وجهه، ونظر اليها بضع ثوان، ثم استدار، وراقبته بأسى وهو يعود أدراجه. لقد كانت القطيعة مؤلمة لها لأنها استمتعت تماما بالايام الثلاثة التي كانا فيها معا ولو استمر هذا بقية الرحلة لكان أنسب لها للغاية. إذ أنها كانت تستمتع برفقة مرحة، لا يصبح

لديها أدنى متسع من الوقت للتفكير في حالتها اليائسة، ومع ذلك مشاعرها الخاصة يجب إبعادها عن مشاعره هو، إذ أن شابا ساحرا كهذا ينبغي ألا يعكر حياته شيء يعاني منه وبالتأكيد فأن وفاتها ستصبح مصدر معاناة في حياته لو وقع في حبها .

ومرت الأيام بلا هوادة، زاروا نيويورك ثم غادروها، كذلك ميناء ايفر غليدز الذي وصلوا اليه بعد ثمانية أيام من أبحار الباخرة وعثر شو على فتاة أخرى مما أسعد وندي، أما غارث ريفرز فكان يقضي معظم وقته مع الفتاة التي رأتها من قبل. وهي نيكول رنتون التي أصبحت متعلقة به بلاشك، لكن مما لايزال مثارا للشك أن يظل غارث منجذبا اليها بالقدر نفسه، وقد استبعد فريزر هذه الفكرة عندما سألته وندي عنها بلاسبب وقال ضاحكا:

"غارث، يقع في شباك أية فتاة؟ كلا على الاطلاق. إنه أعزب بالفطرة."

كذلك عثرت مارجي على صديق، وهو أميركي توفيت زوجته منذ ست سنوات تاركة له فتاتين ينشئهما . وأصبحت كلا الفتاتين تعملان الآن واستأجرتا شقة خاصة لهما تاركين والدهما حرا يستمتع بأول أجازة له منذ سبع سنوات. وأخبر مارجي أنها ستكون حسب رايه أجازة طيبة تلك الرحلة البحرية .

أما بالنسبة الى وندي فبقيت وحيدة معظم الوقت، لذلك وجدت نفسها تتطلع بشوق الى مواعيد تناول الطعام حيث يصبح حضور رفاق معها شيئا مؤكدا . كانت مارجي مازحة دائما ، بينما احتفظ فريزر بأسلوبه الودود الثرثار، وحتى غارث بدا كأنه يصبح معقولا تدريجا ، وقد صدق في كلمته إذ كان بجوار حوض السباحة مرة أو مرتين أثناء وجود وندي هناك، وسبحا معا ، وخرجا وطلبا القهوة، لكن كان هذا كل شيء، وظلت طيلة الوقت الباقي وحدها . وهي تحمل معها كتابا أينما ذهبت ، وكثيرا ما كانت النظرات الفضولية تتجه نحوها ، وهي نظرات بدأت تستاء منها رغم أنها كانت تحدث نفسها بأنها غلطتها هي . لم يكن ينبغي لها أن تشترك في الرحلة البحرية منذ البداية فكونها تقضي أيامها

الأخيرة على الباخرة في وحدة مطلقة أمر غاية في الغباء، على أرض بلدها كان يمكنها أن تقوم بوظيفتها كالمعتاد حتى النهاية.

وفضلا عن زملائها في العمل فإن لها أصدقاءها. لكن هذا فات أوانه الآن الا إذا قررت أن تترك الباخرة في إحد الموانيء التي ترسو فيها وفي هذه الحالة ستعود الى انكلترا حيث لا تملك بيتا تلجأ اليه، ولا أموالا تحصل بها على البيت، فكل ما تبقى لها بعد دفع نفقات الرحلة البحرية كانت مصاريفها الشخصية، وفكرت أن تدخل دار التمريض قبل الموعد المحدد، لكن هذه الفكرة لم تلق قبولا لديها بأية حال.

هتفت مارجي بأسلوبها المؤكد المعتاد:

"نصل الى كيوراساو في ساعة مبكرة من صباح الغد!"

وسألت وندي:

"ما الذي ستفعلينه يا عزيزتي؟ لم تقومي بجولات في نيويورك وميناء أيفر غليدز."

"لا، لم أكن أعتقد أنها ممتعة الى هذا الحد. ثم أنني أوفر مالي لشيء أفضل."

أضافت هذه العبارة وهي تبتسم، وادهشها أن ينظر اليها الرجلان تلك النظرة السريعة، وغضا النظر في الحال لكنهما تركاها حائرة للغاية إزاء ما حدث خلال تلك الثواني القليلة.

"هل ستقومين بجولة الغد؟ لقد زرت كيوراساو من قبل وأحب الجزيرة كثيرا في الواقع."

"أعتقد أنني سأقوم بالجولة."

وقال غارث:

"يمكنك أن تقومي بجولة في العاصمة، ربما تكون ممتعة، لكن لاتنسي أن الصناعة الرئيسية في كيوراساو هي تكرير البترول."

"لهذا تجد شاهدا على ذلك في جميع أنحاء الجزيرة؟"

"ليس في جميع الأنحاء، لكنك ستجدين الدليل على ذلك بالتأكيد."

وقالت وندي بلهجة من أتخذ قرارا:

"في هذه الحالة سأتجول وحدي، لأوفر مالي لجولات أميركا الجنوبية."

"الجولة في كيورا ساو لاتكلف كثيرا."

قال فريزر هذه الكلمات بنبرة من يهون من قدر الشيء، ثم اختلس نظرة الى غارث الذي لاحظت وندي أنه زم شفتيه تعبيرا عن الاستخفاف، وتجهمت في حيرة قبل أن تدرك أن الرجلين يمكن أن يعتبرا هذا التردد دليلا على البخل، داخليا شعرت بالضيق من هذه الفكرة لذلك حدجت غارث بنظرة غاضبة، لكن بعد فترة وجيزة صارت تفكر بأنه لا يهم كثيرا ما يعتقدانه بشأنها.

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي رست الباخرة في الميناء وبعد التاسعة بقليل، نزلت وندي الى الجزيرة، وبدأت تتجول في شوارعها حيث تسطع أشعة الشمس الاستوائية الحارة، ويسودها الطابع المعماري الهولندي ويرجع تاريخه الى القرن الثامن عشر فمبانيها تتوهج بألوانها البهيجة وكأنها مبان يصفها كتاب قصصي قديم. والسبب في ذلك أن أحد حكام الجزيرة يكره التأثير المبهر لأشعة الشمس على المباني البيضاء، لذلك أمر بطلاء المنازل بألوان مختلفة.

وبعدما تجولت وندي حول منتزه فيلهميتا قررت الاسترخاء بعض الوقت ومعها فنجان قهوة وكتابها، وجلست في مقهى فندق كيوراساو انتركو نتننتال وهو مبنى فخم تم بناؤه بدقة داخل جدران قلعة ضخمة يرجع تاريخها الى القرن الثامن عشر عند مدخل ميناء فيلمستاد عاصمة الجزيرة، وإذ ألقت نظرة خاطفة حولها، لمحت غارث بقامته الطويلة، وتسارع نبضها وكادت أن تخفض رأسها لولا أنه رآها، لذلك اضطرت الى الرد على تحيته عندما رفع يده، وتأرجحت ابتسامة على شفتيها وهي تراقبه يقترب من طاولتها. كم هو طويل ووسيم! قطعت خطواته الواسعة المسافة بسرعة اكبر مما يلزمها لتستعيد سيطرتها

وأخذت تضم يديها ثم تعود فتفردهما بطريقة عصبية بعض الشيء رغم أنها لم تستطع أن تتبين سببا لتوترها. ووقف غارث قربها يلقي نظرة فاحصة ناقدة للقاعة.

"هل يمكن أن أبقى معك؟"

سألها برقة وجلس بدون أن ينتظر الرد، وسرعان ما

أمتدت ساقاه الطويلتان أمامه، واتكأ الى الخلف على المقعد بتلك الرشاقة الفاترة التي لاحظتها من قبل، ثم سأل:
"هل قمت بجولة لطيفة؟"
"أجل، شكرا لك."
وتوقفت وندي قبل أن تسأل:
"أين صديقك؟"
ابتسامته المفتعلة شقت فمه الصارم وجاء رده التهكمي:
"وجد لنفسه فتاة."
ورفع يدا آمرة فاقبل أحد المضيفين، وبعدما طلب القهوة استدار نحو وندي وأخذت عيناه الداكنتان تجوبان وجهها الذي احمر خجلا، وظل على هذه الحال لحظة طويلة بلامبالاة قبل أن يقول:
"أين كنت؟ تراقبين الجسر الشهير يفتح لمرور السفن كما أتوقع؟"
وردت بضحكة:
"لا.. لم أكن أراقب الجسر بل كنت أتمشى في المنتزه."
"حقا؟ لكنك بالتأكيد تعرفين أن أول شيء يفعله أى زائر لميناء فلميستاد هو أن يقف مشدوها تماما وهو يراقب جسر الملكة ايما إذ يفتح للسفن؟"
ولم تقل وندي شيئا ومضى غارث في حديثه ليخبرها بأن ذلك كان في وقت من الاوقات أحد الجسور التي تجمع عندها ضريبة الاسواق وقال:
"لو كنت ترتدين حذاء لكان هذا سيكلفك سنتين، أما بالنسبة الى الحفاة فكان المرور مجانا."
ونظرت وندي اليه باهتمام وهي تقول:
"يالها من فكرة غريبة!"
"الفكرة الأصلية كانت طيبة، فالمرء يدفع حسب وضعه الاجتماعي لكن كان هناك بالطبع أناس ذوو كبرياء يستعيرون أحذية لمجرد أنهم لايريدون التعرض لمهانة اعتبارهم فقراء، من ناحية أخرى هناك أميركيون أثرياء يحملون أحذيتهم تحت أذرعهم ويمرون دون أن يدفعوا شيئا، وذلك لمجرد المزاح."
وضحكت وندي ضحكة صافية رائعة أدهشتها،

واجتذبت اهتمام غارث الى درجة أنه ظل يركز على فمها الجميل مدة طويلة جعلها تحس بالقلق، وكان تعليقه غير المتوقع على الاطلاق:
"إنك فتاة غريبة، غريبة جدا في الواقع."
وفكرت في أن الوقت مناسب لسؤاله عما يضحكه فيها، لكن كل ما قالته هو:
"إنني لا أفهمك."
وارتفع حاجباه قليلا، وفي هذا الوضع كان أسلوبه تهكميا لكنه لا يخلو من الرقة والكياسة. وقال بدون توقع جواب مرة أخرى:
"أخبريني، ألا تعتبرين نفسك غريبة؟"
وتجهمت وهي تشعر بذهول تام من كلماته وسألت:
"هل أبدو غريبة حقا؟"
كانت تريد أن تعرف وهي تسأل نفسها إذا كانت تتصرف بالفعل، بسبب ماتنوء به من أفكار، بطريقة غريبة وقال:
"ظاهريا، لا، لكن."
وبعد فترة تردد أضاف:
"لكن هذا كله ليس ظاهرا، أليس كذلك؟"
ومرة أخرى تجهمت لا لأن عبارته محيرة فقط ولكن لأنه تردد لسبب غامض - قبل أن ينطق باسمها وفكرت - لو لم تكن الفكرة مضحكة أنه ربما يعتقد أن هذا ليس اسمها على الإطلاق! وقالت:
"إنك تتكلم بالألغاز.. لا أستطيع أن أفهم شيئا مما تقول."
والتقت عيناه بعينيها في تحد وقال:
"لا، اذا لا تشغلي بالك، سنطرح المسألة جانبا."
وغير الموضوع قبل أن تتمكن من توجيه سؤال آخر، وأخذ يتحدث كيفما اتفق عن الأماكن الهامة التي ينبغي زيارتها في أنحاء الجزيرة لكنها كانت لاتزال تفكر في كلماته الغامضة، فلم تشترك في الحديث إلا لماما، وبدا أنه تضايق إذ أصبح الجو بينهما ثقيل الوطأة الى درجة أنها عندما تكلمت كانت نبراتها متكلفة وأخيرا قال:
"حسنا، سأذهب، لا تضلي الطريق وبذلك تفوتك الباخرة."
وجلست حيثما كانت وأخذت تراقبه يبتعد. لاحظت

طريقته المهيبة في السير، وخطواته الطويلة الرشيقة التي قطعت المسافة بينهما وبين الباب بسرعة ومن دون أن يلتفت وراءه مضى. وفجأة أدركت أن الاحساس بالفراغ بدأ يزحف اليها، وعضت شفتيها خوفا من وحدة اليوم المقبل، هل تعود الى السفينة؟ لن تبحر قبل السادسة، لذلك لاجدوى من العودة والبقاء فوق سطحها، هل تستأجر سيارة أجرة؟ أجل يحتمل أن يكون ذلك هو الرد. وبما أن غارث دفع حساب القهوة نهضت وغادرت الفندق للتوجه الى أقرب موقف لسيارات الأجرة، فوجدته خاليا وهو أمر طبيعي إذ فكرت في مئات الاشخاص الذين نزلوا من الباخرة لذلك معقول أن جميع السيارات المتوفرة استؤجرت منذ فترة طويلة.

وبعدما قررت أن تمشي اتجهت نحو البوندا - وهو أقدم جزء في المدينة - حيث أخذت تتجول بين المحلات التجارية التي تراوحت بين أماكن صغيرة شبيهة بالاسواق الشرقية ومحلات كبري على أحدث نظام شهدته، وكانت الاسعار رخيصة حيث أن كيوراساو ميناء حر تقريبا، غير أن وندي لم تشتر شيئا على الاطلاق متسائلة: ما الفائدة وخيم القنوط عليها، ونتيجة لذلك تثاقلت خطواتها مافائدة أى شيء وقطع تساؤلها بحدة صوت بوق سيارة وقفت الى جوارها وهي تتأهب لعبور الطريق.

"هل تحبين مرافقتي؟"

جاءت الدعوة من غارث الذي جلس أمام عجلة القيادة وأكمل:

"استأجرت سيارة للنهار كله."

وأضاءت عيناها. لو علم فقط مدى ثقل الهم الذي أزاحه عن قلبها! وقالت بضحكة صغيرة مرحة:

"شكرا لك يا غارث. بالطبع أود مرافقتك. إنه كرم زائد منك."

وكانت تلهث قليلا ونظر اليها بتعبير مندهش ونزل ودار حول السيارة وفتح لها الباب، ثم قال:

"لا حاجة لعبارات الشكر المسرفة، إنني سعيد بهذه الرفقة."

ولأنها كانت تعلم أنه يعني ذلك انتابتها موجة سريعة من المرح والعرفان بالجميل:

"ينبغي أن أشكرك يا غارث."

غمغمت بهذه الكلمات في خجل هذه المرة بسبب الطريقة الغريبة التي نظر بها اليها، وأضافت بسرعة عندما لاحظت أنه بدأ يحرك شفتيه استعدادا للكلام:

"لا تسألني لماذا، أرجوك."

ربما لم تكن تستطيع أن تخبره بأنها هابطة في أعماق اليأس وسابحة في مجاهل الخوف وهي ضائعة ووحيدة تماما، ولا يمكنها أيضا أن تشرح له أن عرضه جاء كنجمة مضيئة لامعة لتنقذها موءقتا من تلك الوحدة، ودون أن يتحدث بدأ يتحرك بها تاركا المدينة خلفه في طريقه الى الريف حيث يعيش القرويون بعيدا عن الأضواء البراقة وعن مباني العاصمة. بعيدا عن معامل تكرير البترول وفنادق السياح.

وأخيرا قطع غارث الصمت المخيم وقال:

"لا داعي للادعاء بأنها تتمتع بالجو الساحر الغريب مثل باربادوس أو سانت توماس."

ومضى يشرح أن السبب في ذلك هو أن كيوراساو جزيرة صخرية داكنة بعض مناطقها جرداء والمياه واحدة من أكبر مشكلاتها، وأضاف:

"يتم تقطير مياه البحر الى مياه عذبة لكن هذه العملية باهظة التكاليف الى حد كبير، وعلى كل فأن الحكومة واجهت المشكلة وأصبحت المياه العذبة متوفرة الآن لأفقر طبقات الشعب في الجزيرة."

وعلقت بقولها:

"يبدو أنك تعرف الكثير عنها، وعن الجزر الأخرى، هل قمت برحلات كثيرة في الكاريبي؟"

"مضت بضع سنوات منذ أن قمت برحلات."

كان هذا جوابه المقتضب، وجذبها شيء في نبرته الى القاء نظرة على يديه اللتين تمسكان المقود بسهولة مهملة. لم تفكر في أنه عازف بيانو لأن تلك المهنة لا تتناسب مع مظهره العام ومع ذلك كانت يداه حساستين بأصابعهما الطويلة النحيلة وأظافرهما المقصوصة القصيرة جدا. خمنت أنه رسام، لكنها استبعدت هذه الفكرة. إذن ما هو عمله؟ وفجأة ابتسمت ابتسامة عريضة لنفسها وهي تتعجب، لماذا تتناقش

بمثل هذه الطريقة الغريبة حول عمله، يحتمل أنه لا علاقة له على الاطلاق بهاتين اليدين الطويلتين الحساستين.

٣ - سر المهنة

رغم أن وندي تمتعت بالنهار الذي قضته مع غارث في جزيرة كيوراساو، اعترفت لنفسها بأنها كانت ستستمتع به أفضل لو أن موقفه ازاءها كان أكثر ودا وأقل سخرية ولا تشوبه تلك الاستخفافات المختلطة بالسرور والذي لاحظته من أول لقاء به، وتمنت لو أكتشفت سبب أسلوبه معها، وتمنت أيضا لو تعرف لماذا أسلوبه يؤذي مشاعرها، لأنه في الواقع كان يؤذي مشاعرها بطريقة غريبة مبهمة تسربت اليها تدريجا، فكادت لا تلاحظ كيف بدأ ذلك التأثير، وعلى أية حال تدرك لمحة ايذاء صغيرة في كل مرة تلقي فيها بملاحظة ساخرة أو يرفع هذين الحاجبين الداكنين بتلك البهجة الساخرة لشيء قالته، وأصبح لديها الانطباع بأنه يعتبرها من الفتيات اللواتي يتظاهرن بسذاجة ليست فعلا من طبيعتهن، ومع وجود هذا الشك في ذهنها وجدت وندي نفسها تمتنع عن التحدث بتلقائية أو التعبير عن اعجابها بشيء مثير للاهتمام أو الاعجاب. وفي بعض الاحيان، عندما كانت تنسى أن تكون حذرة وتعبر عن نفسها بملاحظة بريئة كانت عيناه تنطقان بذلك الاستخفاف الممزوج بالضحك، وحينئذ تجد نفسها متوردة الوجه خجلا مما يزيد سروره وفي مناسبتين حدث أن أطلقت ضحكة سريعة على سذاجتها مرة عندما عبرت عن اعجابها بمنظر الاكواخ الصغيرة التي كان بعض المواطنين يعيشون فيها، وهي أكواخ ذات سقوف منخفضة من القش، تحيط بها مجموعة غريبة من ألوان الأزهار والأعشاب

التي تنمو في الحدائق، أدار رأسه لحظة وقال:
"هناك شيء يتعذر فهمه بخصوص فتاة مثلك ياوندي".
"سمعتك تقول شيئا كهذا من قبل." كان هذا هو كل ماردت به رغم أنها ما كانت تنفر من سؤاله ولا تعرف ما يعنيه بهذه العبارات:
"وأعرب عن موافقته قائلا:
"أعتقد أنني فعلت".
ثم رفع احدى يديه ليمنع تثاؤبه، هل بدأ يضجر حقيقة أو أن حركته كانت تستهدف مجرد تضليلها بأنه يعني ذلك فعلا؟"
فقالت دون تفكير:
"لو أن هناك شخصا يتعذر فهمه فهو أنت".
واعقب ذلك صمت مطبق قبل أن يبدده غارث بضحكة وقال:
"الواضح أن كلا منا يجد شيئا محيرا مبهما في الآخر".
أومأت بالموافقة، وهي تدرك أنها تشعر بالبهجة لأنه ضحك، فتلك الضحكة غيرته وأدت الى شيء جذاب للغاية بشأنه، وظلت تفكر لحظة أو اثنتين في هذا التغيير، وقررت كما فعلت من قبل أنه رجل يصعب فهمه أذ يبدو أحيانا ساخرا فظا وأحيانا أخرى جذابا للغاية.
"أوه.. انظر!"
هتفت بذلك ناسية تماما موضوع الحديث بينما أضاءت عيناها وهي تلمح أشجار الصبار العملاقة التي تنمو بوفرة على جانبي الطريق، ثم قالت:
"لا بد أن طولها عشرون قدما".
وهز رأسه قائلا:
"انه صبار شائك ينمو فعلا الى نحو هذا الارتفاع".
وأشار الى الأشجار العالية في الحقل الواقع على جانب الطريق وقال:
"أتلاحظين أن أغصانها تمتد بزوايا قائمة على جانب واحد من الجذع؟"
"أجل، كم هي غريبة! ما السبب في ذلك؟"
"الأغصان موجودة على الجانب المواجه للريح في الجذع، وتتأثر بالرياح التجارية".

وهزت رأسها قائلة:
"أجل، انني أفهم الآن".
عبرا منعطف الطريق التالي، حيث امتد أمامهما منظر جميل لبيت وسط مزرعة تتألق حدائقها بالالوان الاستوائية، وانتزع هذا المنظر شهقة اعجاب من وندي. قال غارث موضحا:
"أنها الاشجار المتوجهة وهي تنمو الى أرتفاع نحو ستين قدما".
واستمرا في طريقهما مرورا بأسوار نبات الجنازي الرائع وأزهار البوجنفيلا والبغلى الجميلة وعديد من الأزهار الأخرى الرائعة التي تنمو بوفرة في هذا الجزء من العالم.
وبعد جولة استغرقت ساعتين رجعا الى العاصمة وتسلقا تلة ليتناولا طعام الغداء في مطعم قلعة ناساو حيث جلسا في الشرفة واستمتعا بنسمات الريح الباردة وهما يتناولان وجبتهما.
وبعد ذلك واصلا طريقهما الى الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة حيث الشواطئ البديعة في خليج كنيب والمياه الاسبانية، ثم بعد جولة حرة سريعة في المدينة، قال غارث ان الوقت حان لاعادة السيارة الى صاحبها، وقبيل الخامسة عادا الى الباخرة فايسون، وشكرت وندي غارث مرة أخرى، وكان صوتها هادئا ذا نبرة تدل على الاخلاص، وعيناها أكثر لمعانا وتجاوبا، وحدق غارث فيها، وبدا كما لو كان ضحية مشاعر متصارعة، ممزقا بين الرغبة في أن يحبها، والرغبة الأقوى في ابقائها بعيدة عنه.
ولم تعتقد أنه مال اليها على الاطلاق في الوقت الحالي حتى بعد أن طلب منها مرافقته في جولته في أنحاء الجزيرة، فقد قدم العرض فقط لأن صديقه هجره الى رفقة أمرأة أكثر جاذبية فوجد نفسه وحيدا.
وعادت الى حجرتها لتغيير ملابسها استعدادا للعشاء.
جاءت مارجي تبهر الابصار في ثوب من اللامية متعدد الألوان ولسانها يتدفق بالكلام كحالها دائما، كذلك أخذ الرجلان يثرثران، لكن شيئا ما بشأن غارث أقنعها بأنه يمارس تهذيبا زائفا، وحيرها أمره فهل يفضل لو كان

على طاولة جميع الجالسين اليها رجال؟
بعد العشاء قامت وندي بجولة في أنحاء الباخرة وحدها لكن لحقت بها مارجي وصديقها دينبي نورتون الذي دعاها الى مرافقتهما الى المرقص قائلا :
"عزيزتي، أننا نشعر برغبة في الرقص، هلا جئت معنا، ليس من الصواب أن تظلي وحدك."
هل كانا يشعران بالشفقة عليها؟ كرهت الفكرة لكنها وافقت على مرافقتهما رغبة منها في عدم مضايقة السيدة الأميركية. كان الحاضرون منهمكين بالرقص فعلا، كل أثنين معا وعندما قالت مارجي انها تود أن تتناول شرابا أولا دعا دينبي وندي الى الرقص معه.
وبعد عدة دقائق ألقت نظرة خلف كتفها فرأت غارث يدخل مع نيكول وقد اتجها نحو البار، حيث طلب غارث شرابا له ولرفيقته، وبعدما اختارا طاولة مجاورة لطاولة مارجي جلسا وأخذ هو يجيل بصره في الراقصين، ومن دون أن يبتسم رفع يده بالتحية الى وندي التي أومأت برأسها، ثم عاد الى رفيقته وانخرط في الحديث معها، وبنظرة المرأة قيمت وندي ملابس الفتاة وزينتها وقررت أنه رغم أن نيكول ذات جمال لاينكره أحد فان هناك قدرا معينا من الغرور في وجهها، كما أن ملابسها تنم عن قلة الذوق. فمن الواضح أن الثوب الذي ترتديه، باهظ التكاليف لكن زيه ليس مناسبا، فالوسط العالي لايناسب خطوط جسمها المثير كذا الحذاء الثمين لايتناسب وقماش الفستان.
مع ذلك كانت مهتمة بها، لأن محاولتها مقاومة النظر اليها عندما مرت هي ودينبي أمام طاولتها ذهبت سدى وتأسفت وندي وهي تتعجب لماذا تهتم الى هذا الحد بالفتاة، ولاحظ غارث هذا، وأصبح تعبيره مبهما عندما التقت عيناه بعينيها للحظة خاطفة، وخفضت وندي جفنيها وهدأ روعها عندما أصبحت وسط حلبة الرقص.
سألت مارجي عندما عادا الى المنضدة وجلسا:
"هل استمتعت بالرقص؟ انك ترقصين رائعا يا عزيزتي."
"شكرا لك - أجل، أستمتعت كل المتعة."
كان صوت وندي منخفضا، لكنها أدركت أن غارث

يمكنه سماعه. ولم يأت المضيف. لذلك نهض دينبي ومضى يطلب شرابا له ولوندي وآخر لمارجي وترك الاثنين وحدهما.
وقالت مارجي وهي تختلس نظرة من فوق رأس وندي الى الطاولة المجاورة:
"هل تعتقدين أن صديقنا الوسيم غارث وقع في شباك الحب؟"
"لا أستطيع أن أقول ذلك."
قالت وندي متجهمة مما أثار دهشتها من نفسها:
"ظهرا معا في مناسبات عدة حتى الآن."
وأجابت وندي وصوتها مازال منخفضا، وهي تخشى أن يسمعه غارث:
"لا أعتقد أن غارث سيكون جادا مع أية امرأة."
"لا، ربما كنت على حق يا عزيزتي! على الاقل حسب الظاهر أنه لم يقع في الحب حتى الان."
"الظاهر؟"
"لا يمكنك أن تكوني متأكدة على الاطلاق، فله من العمر ما يكفي ليتزوج ويطلق مرات..."
وضحكت وندي قائلة:
"أراك سيئة الظن جدا. أنا متأكدة أنه لم يتزوج اطلاقا ويقول فريزر أنه عازب بالولادة."
"حقا؟"
قالت مارجي ذلك وهي مستغرقة في التفكير بينما اختلست النظر مرة أخرى نحو الرأس الأسود للرجل موضوع الحوار، وأضافت:
"اذن فهو يعرفه منذ مدة طويلة؟"
"لم يقل شيئا عن ذلك."
"هل أخبرك ما هو العمل الذي يكسب منه غارث عيشه؟"
وهزت وندي رأسها وهي تقول:
"كلا، الواقع أنني لم أتمكن من سؤاله."
ولاحظت وندي النظرة المتسائلة التي ارتسمت على وجه رفيقتها وأضافت تقول:
"لو كان غارث يريدنا أن نعرف لذكر شيئا عن ذلك قبل ألان تماما كما فعل فريزر، في بداية تعارفنا، لدي شعور بأنه

لا يريد أن يعرف الناس ماذا يفعل."
"شيء مضحك، هذا هو بالضبط انطباعي وفي اي حال فأنني أزداد فضولا يا عزيزتي، وهكذا يمكنك أن تتوقعي أنني سأكتشف قبل أن يمر وقت طويل ماذا يعمل رفيقنا الوسيم."
"قررت في وقت ما أنه يعمل عازف بيانو."
"تقصدين يديه؟ انهما تلفتان النظر. أليس كذلك؟"
"اعتقد أيضا أنه يمكن أن يكون رساما."
أضافت وندي هذه العبارة وهي تومىء برأسها علامة الموافقة على ملحوظة مارجي بشأن يدي غارث.
"ليس رساما، فهو غير حساس الى هذه الدرجة ولكنه رجل عنيف."
"وساخر."
"لا بد أن أوافق على ذلك، ويعرف أيضا كيف يبدو متعاليا ومستبدا. مع ذلك فهناك شيء جذاب فيه، برغم طريقته المثيرة للسخط الى حد ما في توجيه ملاحظاته اللاذعة."
وتوقفت مارجي عن الكلام فجأة بينما اتسعت حدقتاها وهي تنظر الى وجه وندي، لكن نظرتها سرعان ما تحولت نحو غارث الذي أصبح ظهره أمامها الآن وواصلت كلامها.
"الا تجدينه جذابا يا عزيزتي؟"
سألت هذا السؤال وقد اتسم صوتها بنبرة غريبة وردت وندي:
"من حيث شكله اكيد."
"هل يمكن أن تقعي في حبه؟"
واحمر وجه وندي خجلا من هذا السؤال المباشر، وأجابت بسرعة بالنفي قائلة انها لايمكن أن تقع في حبه، ثم أضافت باشمئزاز:
"رجل بمثل هذا الغرور؟ اطلاقا."
هزت السيدة الاكبر سنا كتفيها استهجانا وقالت من دون أن تبدو نبرة أسف في لهجتها:
"فكرت فقط انكما يمكن أن تكونا زوجين مناسبين تماما، قصة حب فوق سطح السفينة، وزواج! سيكون شيئا لطيفا لو حدث:
تنفست وندي الصعداء عندما رأت دينبي يقترب، بعدما

طلب المشروبات.
"ستكون المشروبات هنا بعد لحظات."
قال هذه العبارة وجلس مبتسما لمارجي ووندي، ثم لمح غارث ورفيقته فابتسم لهما وقال:
"الا تجلسان معنا ستكون اسعد حالا."
وافق غارث ورفيقته وقال دينبي:
"كنت الآن اتحدث مع هذا الرجل هناك. هل تعرفون ماذا يفعل. انه يملك صالة للعب البنغو."
حدقت وندي وهي غير مصدقة وقالت:
"تعني ان صالة البنغو تؤمن له مالا وفيرا ليقوم برحلة كهذه؟ اعتقد ان ذلك صعب."
وقال دينبي وهو يدق على المنضدة تأكيدا لكلماته:
"ليس هو فقط لكن زوجته وخمسة أبناء أيضا! جميعهم في السفينة."
وغمغم غارث قائلا وقد شابت كلماته نبرة احتقار لا يخطئها أحد:
"ما الذي يجعل الناس يبذرون أموالهم على أشياء مثل البنغو؟"
قالت مارجي للهروب من رتابة الحياة اليومية."
وأضافت بلهجة العارفة بالأمر:
"وروح المقامرة الدفينة داخل كل واحد منا، لاجدوى، يا أعزائي، من انكار أننا جميعا نحب الاثارة في بعض الاحيان."
وأدارت رفيقة غارث رأسها الجميل وحدقت بشدة في السيدة الاميركية وانفجرت قائلة بلهجة ازدراء، وقد تقوست شفتاها تعبيرا عن السخرية:
"أنني واحدة ممن لايقامرون اطلاقا، بالنسبة الى ارتياد صالة بنغو فانني لا أحلم على الاطلاق بمثل هذا الشيء."
ورغم أن وندي لم تدخل هي أي صالة بنغو فان شيئا ما جعلها تقول، دفاعا عن أولئك الذين ارتادوها:
"ربما كنت من بين سعداء الحظ الذين لا يحتاجون الى الهروب، يا مس رينتون."
وأضاءت عينا الفتاة الخضراوان اللتان تشعان حيوية

وهما تستقران على وجه وندي، وأخذت مارجي تراقبها هي ووندي وتفكر أنها لم تصادف اطلاقا من قبل مثل هذا الاختلاف الشاسع بين اثنين من الجنس نفسه والتقارب في السن أيضا، فحسبما رأت كانت احداهما غير متكلفة اطلاقا، بل طبيعية تماما وصريحة وعاطفية، فتاة منذ لحظة اللقاء بها تثير الحيرة للغاية وتشعرك أنها تواجه مأساة أو خسارة أو أية كارثة عاطفية أخرى، ومن ناحية أخرى فكرت مارجي، ان نيكول رنتون من نوع الفتيات اللواتي يسعين لاصطياد أحد ذوي الثراء، مليونير على الأقل وله لقب كبير لو أمكن، وخلال حساباتها وآرائها الخاصة أصبحت على اقتناع غريب بأن وندي تفوق الفتاة الأخرى في كل شيء، حتى في ملابسها مع أن ثياب وندي، حسب مارجي لاتعادل قيمتها عشر قيمة ثياب نيكول لكن ذوق ملابسها جذب أكبر عدد ممكن من الرجال.

"جعلت كل همي ايجاد وسائل أخرى للتسلية."

كان هذا رد نيوكول الحاد على سؤال وندي التي حدث أن التقت عيناها بعيني مارجي ورأت على شفتيها تلك العبارة: أراهن على أنك تفعلين ذلك يا فتاتي!"

وارتعشت شفتا وندي وهي تجاهد لتحتفظ بوجهها هادئا. ثم قررت أن تغير الموضوع فقالت:

"ذلك الرجل، هل أخبرك بالفعل بأنه يمتلك صالة بنغو؟"

"بل تباهى بذلك! وقال أنها أفضل عمل في العالم! المال السهل وكل شيء وقال انه سيفتتح صالة أخرى عندما يعود الى انكلترا."

"كل يختار صديقه الخاص."

قال غارث هذه العبارة باستخفاف وقد انتقلت عيناه الى الرجل الذي يدور الحديث حوله، وتبادلت وندي ومارجي النظرات. وكلتاهما تفكران في الشيء نفسه: ما هي مهنة غارث ريفرز؟

أسرت مارجي الى وندي بعد ظهر اليوم التالي عندما قابلتها جالسة على كرسي فوق سطح السفينة ومعها كتابها:

"رأيي أن غارث ريفرز شخص هام جدا!"

وبعد أن أثارت اهتمامها وضعت وندي كتابها جانبا ونظرت بتساؤل الى السيدة التي أصبحت صديقتها بسرعة ثم قالت:

"ما الذي تجعلك تقولين هذا؟"

"أتذكرين قولي أنني سأجعل شغلي الشاغل أن أعرف ماذا يعمل لكسب عيشه، برغم انه يغضب ولا يجيب كلما أثير السؤال."

"أجل، بالطبع."

"سألت فريزر بطريقة مباشرة!"

ولم تقل وندي شيئا، واكتفت بالانتظار لتعرف ما سيعقب هذا وهزت مارجي رأسها في اشمئزاز وهي تقول أن فريزر متحفظ الى أبعد الحدود:

"أولا قال انه لا يعرف تماما، لكنني قلت له أن هذا سخف بما أن الرجلين صديقان، وحينئذ قال فريزر انه ليس في وضع يسمح له بالافصاح عن شيء بشأن غارث، لكنه قال أنه يعمل بارهاق منذ سنوات عدة وقد حذره طبيبه أنه لو كان حريصا على صحته فليأخذ راحة طويلة كأن يشترك في رحلة بحرية."

وتوقفت مارجي عن الكلام، وقد ظهرت في ملامح وجهها الطيبة تقطيبة حادة ثم مضت تقول:

"غارث الذي نعرفه مرهق بالعمل، لكن كيف ولماذا ومتى؟ وندي انني لم أصب بخيبة أمل في حياتي كما أصبت من ذلك."

واضطرت وندي الى الضحك ثم قالت:

"انه أمر لايهم حقا."

"انه يحيرني، مثلك تماما."

لكنها توقفت عن الكلام وقد بدت في شكل مضحك عندما سارعت بوضع يدها على شفتيها. ثم هزت كتفيها علامة على الاستسلام وقالت:

"لتعلمي يا عزيزتي انك أنت أيضا تحيرينني."

"أحقا أحيرك؟"

هل تفشي سرها؟ لكن لا! لن تحتمل اطلاقا أن تشفق عليها هذه السيدة. وجاء الرد الصريح بدون تردد:

"أجل يا عزيزتي فأنت لست ثرية بما يكفي للقيام برحلة كهذه، أعني الثراء الذي يأتي بالطريق العادي أليس كذلك؟"

"لا، لست كذلك."

"وبعد؟"

"بعت بعض الممتلكات، لأشترك في هذه الرحلة، كان بيتا.."

"بعت؟"

بدت السيدة كما لو صعقت وظلت لحظة لا تتكلم ثم غمغمت:

"فهمت. اذن فأنت على سعة من العيش؟"

هزت وندي رأسها وقالت بلهجة النفي وبدأ صوتها يخرج بسهولة:

"ليس الأمر كذلك حقيقة، لكنني رأيت أن الممتلكات لن تفيدني مثل الأموال النقدية. وهكذا قررت أن أبيع البيت وأقوم باجازة طيبة بثمنه."

"هذا شيء جيد لك يا عزيزتي."

وفكرت وندي وهي تراقب وجه السيدة الأخرى، حتى الآن تسير الامور على خير ما يرام، لكن أعقب ذلك سؤال غير متوقع على الاطلاق، ويتطلب كل براعة وندي للرد عليه.

"هذا يفسر لماذا أنت هنا، لكن الشيء الآخر الذي يحيرني، ويقلقني يا عزيزتي أرجو الا تعتقدي أن هذا من قبيل الفضول."

ودون أن تنتظر ردا على السؤال مضت تقول:

"أجل هناك شيء يقلقني، هو لماذا تخفين أحيانا سرا في عينيك، أجل، انهما تستغرقان في التفكير كما لو كانتا تنظران عبر طريق طويل تبحثان عن شيء هارب منهما."

وقطعت وندي عليها كلامها قائلة:

"كم يبدو هذا غريبا! ان خيالك يشطح بك يا مارجي!"

وأطلقت ضحكة رنانة قصدت أن تشيع روح الدعابة، لكنها أخفقت في تحقيق الهدف منها رغم أن نبرتها كانت خادعة.

وهزت مارجي رأسها وردت:

"خيالي لا يشطح بي أبدا، وعلى كل فانني لن أوجه اليك أية أسئلة أخرى، كل ما أريدان اقوله هو انه رغم مظهري العابث الى حد ما فان لي أذنا" موثوقة متعاطفة. ويمكن الركون الي."

قالت ذلك بصوت اكتسى بنبرة الجد والترفق، وكان مختلفا عن الصوت الذي اعتادت استخدامه في الجلوس الى المائدة، والذي يتميز بوضوح النبرة.

ونظرت اليها وندي، ورأت مدى جدية تعبيرها والايماءة اللطيفة لرأسها كما لو كانت تريد تقديم ايضاح للعبارة التي قالتها للتو، وهي أنها يمكن أن تكون أهلا للثقة. ولم تشك وندي في ذلك لحظة واحدة واذ أدركت أنها في وقت لاحق قد تصبح في حاجة الى أن تثق بشخص ما قالت بهدوء وبنبرة العرفان بالجميل:

"سأتذكر يا مارجي، أعدك بذلك."

"حسنا، والآن لنعد الى المسألة التي لا تمسنا شخصيا بل تتعلق بالسيد ريفرز والتي كنت أتحدث عنها عندما قاطعت نفسي لأتحدث عنك يا عزيزتي."

وأومأت وندي برأسها وقالت:

"كنت تقولين أنك تظنين أنه شخصيه هامة؟"

"هذا صحيح، أعتقد فعلا أنه شخصية هامة."

ولم ترد وندي بشيء، واكتفت بتوجيه نظرة تساؤل اليها، ومضت تقول:

"لا يمكن الا لشخص هام أن يرهق نفسه بالعمل الى درجة أن يتطلب منه الأمر القيام برحلة بحرية لمدة ثلاثة أشهر، أليس هذا منطقيا؟"

ولم تكن وندي ترى هذا الرأي، لكنها اكتفت بأن ردت قائلة:

"يبدو الأمر معقولا."

"كبار المديرين والاشخاص المرموقون يرهقون بالعمل ويصابون بانهيار عصبي."

ولم يسع وندي الا أن تهتف قائلة:

"لا أستطيع أن أتصور أن غارث يمكن أن يصاب بانهيار عصبي!"

"ولا أنا، ومع ذلك فان هذه العبارة قالها صديقه..."

وغمغمت وندي قبل أن ترفع عينيها لتنظر الى صديقتها:

"حقا انني أتعجب لماذا لم يذكر مهنته."

"انه كتوم بطبعه، ذلك نوعه بين الرجال."

"والنوع الذي تخشين سؤاله."

"بالتأكيد.. أنا شخصيا يمكنني عادة أن أواجه هذا النوع من التصرف لكن مع غارث ريفرز لن أجرؤ على المحاولة، خوفا

من مواجهة التوبيخ.
"وهذا ما ستلقينه بلا شك. انه، حتى الآن لايبدي الا السخرية والتهكم والاستخفاف وأعني عندما تكون هناك مناسبة لذلك، لكنني أشك في أن صوته لن يتورع عن لذعة حادة لو وجهنا اليه أسئلة يستاء منها."
"أنا واثقة أنني أوافقك من الاعماق، أنه ليس من الرجال الذين يمكن للمرء أن يخطىء ويغضبهم."
"بالنسبة الى الظن الذي يساورك أنه رجل هام، أعتقد يمكن أن يكون أحد عمالقة رجال الأعمال. مثل كثيرين من الذين على ظهر السفينة."
"يمكن أن يكون نجما سينمائيا، لو كان الأمر يتعلق بالمظهر والبنيان الجسماني، لكنه ليس كذلك، قطعا ليس كذلك لأنني ، كما ترين، أعرف جميع نجوم السينما."
"يمكن أن يكون قد قام بهذه الرحلة تحت أسم مستعار."
اقترحت وندي ذلك وهي تتذكر ما سمعته عفوا من حديث بين الرجلين.
"ليس كذلك، فانني أعرفهم جميعا لو رأيتهم."
"تعرفين أيضا جميع نجوم السينما من النساء؟"
"معظمهن، رغم أن هناك واحدة أو أثنتين لا أهتم بهما كثيرا وعلى ذلك لا أشاهد أفلامهما، وفيما عداهما دائما أذهب لمشاهدة الافلام. فأنا أعبدها."
"هل تعرفين لينيز مافارو لو رأيتها؟"
وأجابت مارجي على هذا السؤال بالنفي، اذ أن لينيز مافارو من بين ممثلات السينما اللواتي لا تحبهن وأضافت:
"ليس لأنها غير جميلة - كما أتذكر من الصور التي شاهدتها في المجلات والملصقات: وجه ساحر كالجنيات وعينان واسعتان، ربما مثل عينيك، تملك أعظم شعر أشقر بلاتيني، مثل شعرك، بشرة ناصعة وملامح جميلة، أجل أنها فتاة فاتنة يحلو النظر اليها، لكن أخلاقياتها حسنا، يعرف المرء أنها لا تهم كثيرا هذه الايام لكن بالنسبة الي فان الفضائح القذرة تنال من صورة نجمة السينما وأجد نفسي عاجزة عن أن أذهب وأرى أفلامها، لماذا سألت اذا كان بوسعي أن أتعرف عليها؟"
ألقت السؤال الاخير فجأة عندما أدركت أنها ابتعدت

كثيرا عن الخط الرئيسي لموضوع الحديث.
"من المحتمل أن تكون فوق سطح هذه السفينة متنكرة وقد غيرت شخصيتها تماما."
"هل أنت واثقة؟ كيف عرفت؟"
وأشارت وندي الى الحديث الذي سمعته عفوا بين الرجلين في غرفة الملكة يوم ابحار السفينة، ومضت تقول:
"فريزر هو الذي تعرف على النجمة، وقال انه أكيد تماما من أنه عرفها، ويروي أن لينيز مافارو تحب في الفترة الواقعة بين تصوير أفلامها - أن تخرج للتمتع بحياتها الخاصة، في رحلة بحرية حيث تقوم بدور الفتاة البريئة التي - كما جاء في نص كلمات فريزر - لم يقبلها أحد على الاطلاق."
"الامر صعب التفسير! أي نوع من الشخصيات تمتلك سيدة مثل هذه؟"
"الواضح أنها شخصية غريبة، ومع ذلك..."
وخفت صوت وندي بينما نظرت اليها مارجي نظرة تساؤل وهي تواصل كلامها:
"أشعر بالأسف لها يا مارجي."
وردت مارجي بنبرة تتسم بالتفكير العميق، وقد ظهرت تقطيبة مفاجئة على وجهها:
"أجل، انها لا تريد حقيقة أن تظل الدمية التافهة السعيدة دائما، فيما يبدو..."
"لكن الصورة كبرت وأصبحت جزءاً من جاذبيتها."
"هذا صحيح، هذا النوع من الشهرة يجتذب بعض الناس، وتكون النتيجة أنها تتمتع بشعبية هائلة، وعلى أية حال فانها اذا لم تكن تريد أن تتخذ مظهر الفتاة المفتقرة الى الصلاح فلماذا تقحم نفسها اصلا في ذلك الطريق؟ انني لا أطيق صبرا عليها!"
"أستطيع أن أفهم ذلك."
"هل لديك أية فكرة؟ من من الركاب هذه السيدة: لينيز مافارو."
قالت مارجي ذلك بطريقة أوتوماتيكية وهي تتلفت حولها وهزت وندي رأسها وردت:
"لا، على الاطلاق."

"ينبغي أن أذهب واتحرى الأمر!"

أعلنت مارجي ذلك، واضطرت وندي الى اطلاق ضحكة وقالت، وهي لاتزال تضحك:

"ستعرفين كل شيء عن كل أنسان قريبا".

"عندما يحين الوقت لنرسو في ساوثهامبتن سأكون قد عرفت".

وعندما يحين الوقت لنرسو في ساوثهامبتن... شعرت وندي الدم بدأ يهرب من وجهها. ولذا لم تندهش اطلاقا عندما سألتها رفيقتها اذا كانت تشعر باعياء وغمغمت قائلة:

"انني بخير، ذكرني هذا فقط بشيء ما".

وردت مارجي بتعبير يدل على الفضول:

"شيء غير سار كما يبدو من مظهرك".

وردت وندي بسرعة، وقد اكتسى صوتها بنبرة من يريد حسم الموضوع:

"لا شيء".

وهزت مارجي كتفيها تعبيرا عن اللامبالاة وعندما همت بأن تتحدث مرة أخرى وصل دينبي، ودس ذراعيه في ذراعيها، ووقف بضع دقائق يثرثر مع وندي ثم خبط على المنضدة قائلا انه ينوي أن يتمشى مع مارجي ثلاث مرات حول أطراف السفينة، ثم اصطحبها وابتعد.

٤ - ابتسامة تجرح

ظلت وندي لفترة طويلة، تمعن التفكير في ما قالته مارجي عن غارث وكونه شخصية هامة، أرهقه العمل لدرجة أنه نصح بالراحة فترة طويلة. وبشكل ما تصورت أن غارث رجل لا يمكن أن يرهق بالعمل إطلاقا، رجل مثله قوي الشخصية قادر على التحمل يمكنه أن يتحمل أي شيء. وهكذا فانه إذا ارهقه العمل فلا بد أن يكون عمله يرهق الذهن الى حد كبير.

عيل صبرها لعجزها حتى عن الوصول الى النقطة التي يمكنها تصور عمل له، وقررت ألا تفكر في الأمر بعدئذ، لكنها في الواقع عادت الى التفكير في الموضوع عندما أخذت تتمشى فوق سطح السفينة بعد الغداء، وهي تستمتع بنسمة هواء باردة تلفح وجهها وتتخلل شعرها وتلمس ذراعيها العاريتين اللتين اكتسبتا اللون الاسمر الجميل بعدما لوحتهما الشمس نتيجة جلوسها ساعات طويلة فوق سطح السفينة.

كان البحر مثل مرآة مصقولة، متحولا الى مرآة من الفضة بعدما سطع عليه ضوء البدر الكامل من سماء قرمزية داكنة.

كل شيء كان وادعا، وظلت هي لبضع لحظات تعيش في طيبة وسلام لكن فجأة، ظهرت أمامها حقيقة حالتها القاسية، لم يعد البحر لامعا بل أصبح مظلما حالكا وعميقا، أصبح شيئا مخيفا بما أنه سيحتويها، سيحتوي عقلها وجسمها وقلبها في أعماقه.. وبشعور خوف مفاجيء جعلها تفقد توازنها وتصرخ ألما، استدارت شبه عمياء وهي تنوي الهرب الى غرفتها، لكن حالما فعلت أمسكت بها فجأة ذراعان قويتان:

"وتطلعت الى وجه غارث ريفرز النحيل غير المبتسم وقالت:
"آسفة كنت على وشك الذهاب الى غرفتي."

وحاولت بشجاعة أن تسيطر على نفسها ومرة أخرى خفت صوتها لأنها عندما رأت عينيه الثابتتين الغامضتين أدركت أن الدموع كانت تنهمر غزيرة على وجنتيها."

ونسيت البحر... قدرها... قاع السجن المفزع المظلم الذي لن تعود منه. أجل، كل هذا نسيته لحظة الاقتراب الوثيق من هذا الرجل الغريب الذي أصبحت يداه الان رقيقتين للغاية، يمنحها الراحة والدفء. إنها آمنة معه، لاشيء يمكنه أن يتحدى سلطته لو أنه فقط أمسك بها هكذا للابد لما أصيبت بأذى على الاطلاق، وغمغم مندهشا:

"أيتها الفتاة المسكينة الصغيرة الثرية، لماذا تبكين؟"

ولم تخفف يداه من قبضتها لكنه ترك مسافة صغيرة بينها وبينه، ليرى وجهها بشكل أوضح، حسب اعتقادها.

ورددت قوله الفتاة الصغيرة المسكينة الثرية وهي تمسح وجهها بيدها وأضافت:

"ماذا تعني؟"

ظهرت على وجهه ابتسامة ساخرة آذتها بصورة لاتطاق وقال:

"اعتقد أنك تعرفين ما أعني.."

قال ذلك وقد اختفت الرقة من صوته، رغم أن يديه كانتا لاتزالان حانيتين عليها، هاتين اليدين الطويلتين النحيلتين اللتين خدعتاها لأنهما كانتا قويتين وقادرتين، ومرة أخرى أقحم السؤال المضني نفسه عليها، ما هو عمله؟

"لا أعرف صدقني!"

وتجهم وقال مرة أخرى:

"لماذا كنت تبكين يا وندي؟"

ووقع تجاهله القاطع لكلماتها، رغم أنها قالتها بإخلاص، مثل وخزة إبرة حادة، وتمنت لو أنها استطاعت أن تعيد تقديم الموضوع، وعلى أية حال فرغم المودة التي سادت الموقف الحالي، تذكر أنها لم تصل مع غارث إطلاقا الى مرحلة التعارف الوثيق.

"لم يكن هناك شيء."

بدأت كلامها بهذه العبارة لكنه قاطعها قائلا:

"هراء سيفيدك كثيرا لو تكلمت!"

كانت لهجته آمرة، ولو أنه قال هذه الكلمات منذ فترة قصيرة جدا لأغضبتها ولكن ليس الآن، ومضى يقول:

"إنني الآن في حالة استعداد للاصغاء والتفهم. وهكذا يمكنك أن تتأكدي أنك ستلقين اهتمامي المتعاطف الكامل."

وتأرجحت ابتسامة على شفتيها الجميلتين إذ ذكرها بالدكتور هويتيكر الذي كان دائما مستعدا للانصات لمشكلات أي من مرضاه، وبصفة خاصة مشكلات وندي، وقالت:

"كنت أشعر بإحباط شديد، لكنني الآن على ما يرام."

"تكلمي!"

قالها بلهجة آمرة، لكنه أضاف وهو يلقي نظرة حوله:

"سنجد مكانا مريحا نجلس فيه، مكان منفرد."

ثم أخذ يدها وقادها الى مقعدين من مقاعد سطح السفينة في مكان منعزل تحت الظلال في نهاية السطح وقال بسرعة عندما جلسا:

"والآن، هاتي ما عندك."

"لم أكن على مايرام..."

اعترفت بذلك وقد بدأ عقلها يعمل بسرعة في محاولة لذكر ما يكفي من المعلومات لإرضائه، دون دخولها في أية تفاصيل وهو أمر ليست لديها أية نية للقيام به بأي حال لأنها رغم اهتمامه وتفهمه الواضحين لم تكن متأكدة أنه سيهتم بمعرفة الحقيقة كاملة عن معاناتها. ونظر بحدة اليها عندما سمع كلماتها وبدأت عيناه الباردتان غير المبتسمتين تتفرسان في كل جزء من وجهها وجبهتها حتى نزلتا الى رقبتها وقال:

"أكنت مريضة؟"

وتصاعد الدم غزيرا الى وجهها، ووجدت أن كفيها أصبحتا دافئتين ومبللتين ومضى يسألها:

"أي نوع من المرض؟"

وهزت كتفيها كسبا للوقت ثم قالت:

"شيء لن تفهمه."

وادهشها أن يكون صدمه كلامها فعلا أم أنها تتصور ذلك فقط اذ زم شفتيه بقوة، وبشكل يؤكد ما تصورته، أو بدا ان كلماتها لم ترضه على الاطلاق، وبلهجته الآمرة قال:

"يمكنك أن تخبريني."

ومرة أخرى قالت لنفسها أن هذا كان سيغضبها لو أنه قاله منذ فترة ليست طويلة، وبعد تردد قصير قالت:

"آسفة يا غارث، لكنني أفضل ألا أتحدث عنه."

"فهمت..."

وبدا كأنما انتابته أفكار أخرى عن المسألة، كما لو كان يعتقد أن مرضها من النوع الذي لا تحب أن تناقشه مع أحد، وأراحها أنه قنع ومع ذلك، فبعد مرور اللحظات القليلة الأخيرة فكرت، ربما بعقلها الباطن، أنها لو استطاعت أن تفضي بسرها لغارث لأزاح عن كاهلها عبئا كبيرا إذ أنها تعرف بدون أدنى شك على الاطلاق أنها يمكنها الوثوق تماما أنه لن يتحدث به حتى الى صديقه. ومرة أخرى نظر اليها بعينين متسائلتين وقال:

"ومع ذلك لا يمكنني أن أرى لماذا كنت تبكين؟"

"انقباض نفسي."

كان هذا هو ردها الصادق تماما، ولأنها نظرت مباشرة اليه وهي تفوه به تقبله كحقيقة، وأومأ برأسه ببطء وهو يمعن في التفكير، كأنه يستعرض حقائق أخرى تتناسب بعضها مع بعض. وتجهمت في حيرة، لكن مزاجها لم يفتح مجالا للاشياء التي غلبت تفكيرها من قبل فلقد تصرف كل من غارث وفريزر معها بشكل غريب تعودته لدرجة أنها لم تعد تنوي السماح لنفسها بالشعور بالغيظ إزاءه.

وقال بلهجة متعاطفة:

"الانقباض النفسي يمكن أن يكون أسوأ من الآلام الفعلي، وعلى كل فان المرء يمكنه أن يفعل الكثير من أجل تخفيف مثل هذه الحالة، كتغيير اسلوب الحياة مثلا."

"تقترح أن أغير أسلوب حياتي؟"

وتساءلت في نفسها وماذا بعد؟

"ألا تعتقدين أنها ستكون فكرة جيدة؟"

"إنني..."

وامتنعت عن القول بأنها لاتعرف ماذا يقصد، لأن ألما بسيطا وخز رأسها. وكانت على علم بمثل هذا الطاريء... الألم سينتابك بين فترة وأخرى: هكذا أخبرها الاخصائي... وستمر النوبات حتى تأتي النوبة الأخيرة التي تسبق اللاوعي الكامل... وقالت:

"إذا لم يضايقك تصرفي أود أن آوي الى غرفتي، فأنا متعبة..."

"مازال الوقت مبكرا..."

قال هذا بسرعة الى درجة أنه بدا كأنه يود أن تظل برفقته فترة أطول قليلا:

"حسنا، لن أذهب الآن."

وجدت نفسها تقول هذا وهي تبتسم. واستقرت عينا غارث على وجهها لحظة طويلة. وبدا كما لو كان يتنهد من الداخل على شيء يأسف له أسفا عميقا، ووجه اليها دعوة مفاجئة حين قال:

"ألا تشعرين بالرغبة في رقصة أو اثنين؟ فالأضواء البراقة والموسيقى ستقضي بالتأكيد على الانقباض الذي تشعرين به."

"شكرا جزيلا لك يا غارث."

وتجهم قائلا:

"لا حاجة بك الى مواصلة الشكر يا وندي.. انا أحب رفقتك كثيرا في الواقع."

ولم تتردد طويلا إذ مرة أخرى انتابها الانطباع بأن عواطفها موزعة لأن بعضا منها يريدها بينما البعض الآخر يرفضها.

ورقصا معا طوال الوقت وكانت واعية تماما لمختلف العيون العديدة التي تركزت عليها، عينا نيكول رنتون أصبحتا داكنتين وخبيثتين مما يعني بوضوح أنها تشعر بالغضب لأن شخصا آخر يحظى باهتمام غارث الكامل. ثم هناك مارجي التي كانت تبتسم وتوميء برأسها، ولم يكن من الصعب قراءة أفكارها. هكذا رأت وندي من حولها وقد ظهرت

في عينيها ومضة أسف وأخذ يهمس في أذن رفيقته ثم أومأ هو أيضا، أما فريزر، الذي كان جالسا أمام البار مع صديقته فبدا عاجزا عن أن يحول عينيه عن متابعتهما: وهناك شيء الذي نظر اليها بطريقة غامضة بينما كانت الفتاة التي تجلس الى جواره تحتسي شرابها. ثم كان هناك الرجل القوي الذي يملك صالة البنغو، هو أيضا بدا مهتما بالاثنين اللذين احتلا حلبة الرقص.

"هذا ممتع للغاية".

قال غارث ذلك عندما عادا أخيرا الى السطح، وقد أعرب عن اعتقاده أن لمسة الهواء الرطبة المنعشة الآتية من البحر ستكون تغييرا لطيفا بعد حرارة الجو والثرثرة في المرقص وقال:

"شكرا لك يا وندي، ربما نقوم بذلك مرة أخرى".

هذه المرة اتسم صوته بنبرة تلقائية غير معتادة، وظهر في عينيه تعبير الانتظار كأنما لرأيها اهمية قصوى لديه. ومنحته إحدى ابتساماتها الرقيقة الجميلة وهي تقول:

"أتوق الى ذلك يا غارث".

"لنحدد الموعد إذن، مساء الغد بعد العشاء سنرقص مرة أخرى"

وصلا الى حاجز السفينة. وأصبحت وندي قادرة على النظر الى البحر من دون خوف أو رعب: أصبح براقا مرصعا بالنجوم مثل قطعة فسيفساء يختلط فيها الضوء بالظل نتيجة انكسار الامواج والليل نفسه أصبح ساحرا تتلألأ في سمائه الاستوائية ملايين النجوم، يتوسطها القمر بدرا في تمامه. وانحنت وندي وغارث على الحاجز، وساد بينهما صمت عميق لطيف. لقد أصبحت في سلام مرة أخرى، وهدأت أعصابها.

"يالها من ليلة ساحرة؟"

خرجت العبارة عفوا من شفتيها وأدار رأسه الداكن وحدق في وجهها ثم قال:

"لم أر شيئا بمثل هذا السحر الخيالي الرومانسي".

"حقا؟"

قالت وندي بدهشة كبيرة: هل كان هذا نزوعا الى

الشك؟ ومع ذلك فإن الابتسامة التي ظهرت على شفتيها، وعبرت عن التهكم واللامبالاة الى حد ما، جعلتها تندم على تغيير أسلوبه معها، وأضافت:

"كان ينبغي لي الاعتقاد بأنك شاهدت عديدا من هذه المناظر".

ومد يدا احتوت جميع أطراف البحر اللامع والسماء المرصعة بالنجوم والباخرة المترفة التي تبحر بين هذه الأجواء. وبعينين تحجبهما الظلال نظرت اليه وقالت بلهجتها الناعمة اللطيفة:

"إنني لا أفهمك يا غارث. فإنك تقول لي أغرب الاشياء. يسيطر علي الانطباع بأنك تشك في أنني لست على حقيقتي".

وتساءل بنعومة:

"وهل أنت كذلك؟"

وفكرت في حالتها وأخفقت في محاولتها منع احمرار وجهها خجلا وقالت وهي تلقي بصرها على يده المستندة على حاجز السفينة:

"جميعنا لدينا خبايا سرية في داخلنا نخفيها عن أي شخص آخر".

"هل لديك خبايا سرية؟"

"بالطبع، انني لا أتحدث مع كل شخص أقابله عما بداخلي".

واستعاد صوتها نغمته الرقيقة، كما استعادت عيناها ظلالهما، وتحرك غارث قلقا، وتغلب عليها انطباع غير عادي بأنه يواجه صعوبة بالغة في الاحجام عن ضمها اليه، وعندما لم يتكلم أضافت قائلة:

"أنت نفسك لابد ان تكون لديك خبايا سرية".

هز برأسه موافقا وحدق في البحر غارقا في تفكير عميق، ووقفت الى جانبه قريبة منه ومع ذلك فهي ليست قريبة بما يكفي!

وأخيرا اعترف قائلا:

"أجل يا وندي... أنا أيضا لدي خبايا في نفسي".

وبدا عليه التعب فجأة، لكنه لم يبذل أية محاولة للتحرك وساد الصمت مرة أخرى، ولسبب غير مفهوم اضطرت

الى إنهاء هذا الصمت وسألت:
"متى نصل الى الميناء التالي؟ إنه سلفادور، أليس كذلك؟"
"صحيح.. سنكون هناك يوم الاثنين."
وتوقف عن الكلام لحظة ثم أضاف:
"هل ستقومين بالجولة في الميناء؟"
وهزت رأسها من دون تردد.
كانت الجولة تستغرق أربعة أيام، تتضمن الطيران في أعماق البلاد، الى عاصمة البرازيل المعروفة برازيليا حيث يقضي المشتركون في الرحلة ليلة، وبعدها يطيرون الى ماناوس مدينة المطاط الكبيرة، التي كانت في أوج مجدها منذ أكثر من ثمانين عاما، كذلك كان القيام بجولة بحرية في نهر الأمازون جزءا من هذه الرحلة الخاصة التي تكلف نحو ثلاثمائة جنيه، وبالتالي كانت غير ممكنة، بالنسبة لوندي، لأن ما تملكه لا يكفي لذلك النوع من المتعة وقالت:
"لا، سأنتظر حتى نصل الى ريو. أنني أتطلع حقيقة الى ذلك."
واستدار، وظهر على وجهه تعبير غريب وتساءل:
"لماذا لا تشتركين في جولة برازيليا وماناوس؟"
"لاأعتقد أنها ستهمني."
تجنبت الرد القاطع على أمل أن يرضيها ذلك، وهذا ما حدث وأراحها كثيرا. وقال إنه سيقوم بالجولة. وأصابتها هذه الانباء بصاعقة مدمرة، اذ أنه سيغيب عنها أربعة أيام كاملة، وعلى أية حال هناك ثلاثة أيام قبل ذلك وعندما خطرت لها هذه الفكرة ارتفعت روحها المعنوية بسرعة تماما كما انخفضت منذ بضع ثوان فقط.
"الوقت متأخر جدا."
خرجت هذه الكلمات بنعومة ثم تلاشت عندما عبر أحد النجوم قوس السماء بسرعة ثم سقط وراء خط الافق الغامض بالضباب.
"ينبغي أن نقول طابت ليلتك يا وندي."
رقدت في فراشها. مسترخية تحدق شاردة الذهن في بصيص ضوء تسلل من خلال الباب.

غارث ريفرز... لن تؤذي مشاعره كما كانت ستؤذي مشاعر شو.. لا، إن غارث غير عاطفي كما أنه مصمم على الحفاظ على عزوبته من دون الانزلاق في قصة عاطفية. انتابتها الشكوك أنه يستغلها ببساطة لأن صديقته هجرته كرفيقة لطيفة يمكنه أن يقضي معها بعض وقته، وعلى ذلك يمكنها هي أيضا استغلاله، قررت بتعقل أن تخرج معه كلما طلب منها ذلك. كل هذا دون أدنى درجة من وخز الضمير إذ أنها تعلم علم اليقين أنه عندما يحين وقت رحيلها عن الباخرة لن تبدر منه الا تنهيدة أسف صغيرة على أنها ماتت شابة، وبعد ذلك سيعثر على أخرى ترافقه حتى نهاية الرحلة البحرية.
وهمست وهي تدفن رأسها في وسادتها:
"أجل.. لا حاجة بي الى الشعور بتأنيب الضمير لاستغلاله.. أما بالنسبة الي فأنني لن اخاف الوحدة لأنني متأكدة أنه يحب رفقتي ويرغب فيها حتى النهاية."
ومرت الايام الثلاثة التالية على وندي في منتهى السعادة. أصبحت الآن تشعر بفرحة أكبر لأنها قررت الاشتراك في الرحلة البحرية وكونها احبت غارث أصبح حقيقة مقبولة تغلغلت في أعماقها ببساطة الى درجة أنها لم تتنبه الى وجودها حتى استعادت تركيزها. واعترفت لنفسها بأن هذا الامر وحده له مكانته لديها، اما هو فكانت تعرف أنه يعتبر ذلك مجرد غزل ممتع فوق سطح السفينة.. إنه يشعر بالسعادة بمرافقتها، واستجابتها لغزله سواء أكان مرحا أو متملقا أو، كما أصبح مألوفا أكثر، ساخرا جدا ومزدريا قليلا.. ولم يعد يضايقها اتخاذه هذا الموقف، كانت تعيش كل يوم ليومه، وتشكر الله لأنه مر لطيفا فلم يكن هناك وقت لتضييعه في ملاحقة اكتشافات عقيمة يمكن أن تنتهي الى لا شيء.. أما الوضع بينها وبين غارث فقد كان يناسبها بصورة مثالية: أحبته ونتيجة لذلك كانت سعيدة. ولم يكن يحبها ولا كان سيحبها على الاطلاق، لذلك لم تشعر بأي قلق على مستقبله، لو تركته جريح القلب يتخبط في فراغ الوحدة. إن موتها لن يؤثر عليه في اية حال. اجل انه موقف مثالي لأنها أحبت أخيرا...

أحبت بطريقة كانت - منذ أشهر قليلة فقط - حلما راودها الأمل في أن يصبح حقيقة.كاد أن يضيع الحلم لكنه أصبح حقيقة.. لقد وجدت الرجل المناسب على الاقل فيما يتعلق بها، وتعلمت كيف تتعايش مع حب عظيم، وروحي، تشوبه أحيانا مسحة ندم بسبب عجزها:

"ألغيت الجولة يا وندي.."

تقبلت هذا النبأ بخليط من عدم التصديق والفرح الخالص الذي تشوبه شائبة:

"حقا! لكن هل أنت واثق يا غارث..."

"أنا واثق أنني لا أريد أن أظل بعيدا عنك أربعة أيام يا عزيزتي ربما تجدين شخصا آخر وأنا غائب!"

قال العبارة الاخيرة بنبرة إغاظة، وعيناه الداكنتان تبرقان بالمرح عندما حاولت نفي هذا الاحتمال.

"إنني لن..."

"إنك أجمل من أن أسمح بمجازفة كهذه."

قال هذا وهما يجلسان فوق سطح السفينة، تحت أشعة الشمس، ارتديا أخف ما يمكن من الثياب، واكتسبت بشرة وندي الآن سمرة جميلة وأصبحت أكثر جاذبية وفتنة، أما شعرها، رغم أنه مازال داكنا، فقد تأثر بأشعة الشمس القوية عند المقدمة والصدغين وظهرت في المكانين بعض الخصلات الذهبية التي لم تتنبه هي لوجودها الى أن لاحظ غارث هذا التغيير في اللون وقال شيئا غامضا وساخرا. وكالمعتاد تغاضت عن ذلك اذ أدركت أنه، بعد بضع دقائق، سيردد عبارات إغاظة أو ممالأة، وفعلا ما لبث أن قال:

"طول بقية الرحلة ستكونين لي ولن يتدخل أحد بيننا."

واختلست نظرة سريعة اليه، لكن وجهه كان خاليا من أي تعبير واضطرت أن تقول:

"لا أظن أنني أحب كلمة لي."

وارتفع حاجباه الداكنان المستقيمان قليلا وتساءل:

"وما الخطأ في ذلك؟"

"لا أستطيع التفسير."

"أنك طفلة مضحكة."

ثم كأن فكرة ما طرأت له أردف قائلا:

"لكنك لست طفلة؟ تبدين فقط كذلك."

"هل ترى أنني أكبر سنا مما أبدو؟"

"تبدين كما لو كنت لا تزيدين عن التاسعة عشرة."

"أنني في العشرين."

قالت له ذلك وقد تلون صوتها بنبرة فاترة بعض الشيء.

"والباقي؟"

وجه لها هذا السؤال وقد أتسم صوته برنه المرح التي أظهرت لمحة غضب في عينيها، ثم نظرت مباشرة الى وجهه وهي تقول:

"أخبرني أذا كنت لا أبدو أكبر من التاسعة عشرة فلماذا تعتقد أنني أكبر من العشرين؟"

"قلت قبلا. فمظهرك خادع."

وتجهمت بشدة وتغضن حاجباه في حيرة عندما لاحظ ذلك وقالت بحدة:

"ليس لدي رد على ذلك، إنك كثيرا ما تتكلم بالألغاز الى درجة أنني وصلت الى مرحلة عدم الاكتراث بمحاولة فهم ما تعنيه."

وهز غارث رأسه كما لو كان يحاول إبعاد صورة ما، وقال وهو مستغرقا في التفكير:

"قريبا، سأسألك سؤالا سيفزعك."

وبعد ذلك غير الموضوع، ولم يتح لها الوقت لمواصلة المسألة حتى إذا رغبت في ذلك قال:

"بشأن زيارة سلفادور سيكون أمامنا الكثير لنفعله وسنقوم بذلك معا.."

"سيكون هذا جميلا."

قالت ذلك لكنها أضافت بعد تردد بسيط:

"كنت تتطلع الى تلك الجولة بالتأكيد؟"

"ليس كثيراً، لن يضايقني أن أضيع الفرصة."

وأرضاها هذا الرد كثيرا، ومسح كل ألم أحست به من جراء أسلوبه الاقل جاذبية منذ بضع لحظات.

سلفادور باهيا - التي كانت عاصمة للبرازيل في وقت

من الاوقات تبين أنها مدينة الكنائس، وهى قائمة على مستويين:
القطاع الأكثر انخفاضا ويطلق عليه اسم بايكسا والجزء الأعلى ويطلق عليه ألتا والأخير قائم على سهل واسع مرتفع يعلو نحو مائتي قدم فوق المدينة المنخفضة.
وحالما لمح غارث إحدى سيارات الأجرة قال:
"سنستأجر سيارة أجرة.. سيكون ذلك أبسط من محاولة التجول في المدينة على هوانا."
وهرولت وندي بجانبه وهو يسرع الخطى نحو السيارات وهي تشعر بالبهجة، إذ لم تكن من قبل تتطلع الى شيء أكثر إثارة من مرافقته طوال اليوم فضلا عن أن مارجي لم يكن لديها الوقت لأي شخص الا دينبي إذ أسرت لوندي بأنه لن تمر فترة طويلة قبل أن يطلب منها الزواج.
وسرعان ما أستأجرا السيارة وجلس غارث ووندي في المقعد الخلفي وحملهما السائق الى المدينة العليا حيث بدا بالتوقف عند دير القديس فرانسيس الاسيسي، وقد زين داخله بورق الذهب الجميل، مما جعل وندي تبدي عبارات الاعجاب غير مرة، وفي كل مرة كان غارث ينظر اليها لسذاجتها أو تقديرها التلقائي لجمال المكان، وأخذهما سائق السيارة الذي كان يعمل كمرشد الى الأروقة التي أقيمت حول حديقة ممهدة وسأل غارث بعدما سارا مدة طويلة:
"هل رأيت ما فيه الكفاية؟"
وعندما أومأت وندي بالايجاب قال:
"لنذهب إذن."
وسبقهما سائق السيارة فتمهلا في السير نحوها، وشاهدا نباتات البونسيتا الجميلة وأزهارها القرمزية البراقة تتمايل الى جانب الأوراق الأقل رونقا لأشجار السنط بينما أنواع أخرى من الأزهار الرائعة كانت تتسلق الجدران وتنمو في الاصص والحدائق في كل مكان.
"سأشتري لك شيئا."
قال غارث ذلك عندما أنزلهما السائق، بعد فترة من الوقت بناء على طلب غارث، في شارع كونسيل دانتاس رقم

١٩ وبادرت بقولها:
"لا، سيكون ذلك خسارة..."
وتوقفت عن الكلام، اذ أدركت مابدر منها وببطء وبدون أن يفهم كرر غارث قولها:
"خسارة؟ ما الذي يمكن أن تقصديه بذلك؟"
وتوقف غارث خارج محل لبيع المجوهرات، وعلمت أنه ينوي أن يشتري لها شيئا ثمينا، فقالت بضعف:
"انني لا أتزين بالمجوهرات إطلاقا. ولذلك سيكون خسارة للمال لو اشتريت لي شيئا من هنا."
واغتم وجهه بشدة، وأخذت عيناه تتفحصان وجهها كما لو كان يريد الجواب على حيرته في بعض ملامحها، تعالي سنعثر لك على خاتم اكوامارين من الزبرجد، إنها الاحجار التي تمتاز بها هذه البقعة.
"ولكن."
"لا جدال يا وندي.."
وأذعنت، ولكن بشعور بوخز الضمير، فقد بدا لها من الخطأ خلقيا أن تسمح له بإنفاق أمواله عليها وشراء الهدايا التي ستجمع قريبا مع جميع حاجياتها الأخرى، وترسل الى أبن عمها البعيد، الذي سمعت عنه من أمها لكنها لم تقابله إطلاقا.
واختار غارث خاتما ذهبيا ذا فص غامق، وقد علمت من مارجي فيما بعد أنه أغلى كثيرا من الفص الفاتح، ووضعته في الأصبع الثالث في يدها اليمنى، وشكرته كثيرا، وتوقفا في المرة التالية عند سوق اليركادو موديللو، التي قالت مارجي انه ينبغي أن بزوراها، وهنا يمكن شراء أي شيء ابتداء من أكياس الأرز الى القبعات القش وأقمشة الملابس:
وطبيعى أن وندي كانت لاتهتم كثيرا بمثل هذه الأشياء، كما أنها لم تلتفت الى الهدايا التذكارية، وأشار غارث، عفوا الى الأشياء العديدة التي يمكن شراؤها، لكنها تجاهلت تعليقاته، ووجه اهتمامها الى بعض أقمشة الساتان المطرزة الرائعة، واقترح أن تشتري قطعة منها لعمل فستان وقال:
"سأشتريها لك."

لكنها هزت رأسها وهي تقول:
"لن أرتديه إطلاقا."
ورغم أنه رمقها بفضول فإنه لم يقل شيئا آخر عن ذلك.
"هل لاحظت الاجناس المختلفة من الناس؟"
قالت وندي ذلك وهما يمران بجوار سيدة أسبانية الملامح تشتري كمية من جوز الهند من رجل زنجي، وبالقرب منهما كانت سيدة يبدو واضحا أنها من سلالة هندية. بينما وقفت عن بعد مجموعة من الأفارقة كما اعتقدت وندي.
"أجل أن الجولة ممتعة، أليس كذلك؟"
بدا غارث سعيدا للغاية وهو يتجول هكذا وشاهدت وندي جانبا منه يختلف تماما عما شاهدته من قبل واستنتجت أن هذا الرجل الذي أحبته له عدة جوانب في شخصيته بعضها غير جذاب بينما الجوانب الأخرى ساحرة بشكل لاينكر، إنه يتمتع بلباقة اجتماعية فوق مستوى أبناء جنسه.
"قضيت يوما رائعا!"
صاحت وندي قائلة ذلك عندما عادا أخيرا الى الباخرة فايسون وأضافت وهما يستعدان للدخول الى غرفتيهما:
"شكرا جزيلا لك يا غارث لأنك اصطحبتني معك."
ورد بما يشبه العبارة اللاذعة:
"أود لو أمتنعت عن هذه المبالغة في الشكر. استمتعنا كلانا وأسهم كل منا في متعة الآخر."
ودون أن تهتم بالتقطيبة التي ظهرت على جبهته ردت وندي بحماسة:
"يجب أن أشكرك مع ذلك، إنك لا تعلم ما فعلته لأجلي، لكنك ستعرف يوما ما."
وكانت على وشك أن تستدير بسرعة وتسرع الى غرفتها لولا أن يدا امتدت بسرعة وأمسكت برسغها وأوقفتها وأدارتها لتواجهه في حركة رشيقة.
"لا يمكنك أن تقولي أشياء كهذه ثم تهربين دون إعطائي تفسيرا! ما الذي قصدته بالضبط من تلك الكلمات؟"
"لاأستطيع أن أخبرك! لا يمكنك أن تكرهني على ذلك! إذا كان بإمكانك أن تتحدث بالألغاز إذن لم لا أستطيع أنا؟"

وبهزة عنيفة قامت بها على غرة حررت نفسها من قبضته، وفي اللحظة التالية كان غارث يقف وحده يحدق فيها وهي تتراجع بسرعة الى الخلف وازداد التقطيب على حاجبه عمقا، حتى أصبح عبوسا.

٥ - ثرثرة فوق البحر

وحالما صارت وندي في غرفتها، جلست على الفراش وهي تستعيد ذكريات اليوم الذي قضته وتشعر بأنها سعيدة الى درجة أنها يمكن أن تغني أغنية الحب.

أي شيء رائع جميل! ان كان الامل يراودها فقط، وظلت تصلي من أجل أن يحبها غارث بالعمق نفسه الذي تحبه به. راودها الأمل أن يعيش طويلا مع فتاة جميلة تعتني به كما عني هو بها.

وفجأة، وبدون سابق إنذار - انفجرت في بكاء حار واستدارت ودفنت وجهها في وسادتها وظلت تنتحب دون أن تستطيع السيطرة على نفسها، ولكن دموعها توقفت حالا. كم كانت ناكرة للجميل. أتريد المزيد عندما منحتها الحياة الكثير؟ مع هذا فلو أنها قادرة على أن تتطلع الى حياة طويلة لصارت تواجه فترة فظيعة من الفراغ النفسي غير المحتمل. فقد أحبت غارث وهو لا يهتم بها على الاطلاق. ربما كان سيودعها وداعا بهيجا - من جانبه - عندما ترسو السفينة، ويقول لها شكرا لك يا وندي للوقت الرائع الذي قضيناه معا، ثم يمضي كل في طريقه ولا يلتقيان أبدا مرة أخرى. أما بالنسبة اليها فكان سيحطمها هذا إذ أنها تود أن تحتفظ بغارث طالما هي حية.

وجعلتها طرقة لطيفة على الباب تهب واقفة على قدميها، لكنها وقفت مترددة حائرة، بينما ألقت نظرة خاطفة على المرآة وهي تتساءل أتتحدث أم لا، وتكررت الطرقة

مرة أخرى وسمعت صوت غارث يقول:

"وندي... لقد تركت حافظة نقودك معي".

حافظة نقودها؟ لم تحمل معها حقيبة يدها، بل اكتفت بحافظة صغيرة للنقود وطلبت أن يضعها في جيبه، وردت قائلة:

"يمكنك أن تحفظها لي الى مرة أخرى"!

"مرة أخرى"؟

وتوقف عن الكلام لحظة، ثم أراد أن يعرف ما بها فقال:

"ألا يمكنك المجيء الى الباب"؟

"أجل... لا... أعني..."

وغمرتها النشوة عندما رأت مقبض الباب يدور وهو يقول محذرا:

"إنني قادم... فاذا لم تكوني مستعدة لملاقاتي الأفضل أن تتعجلي"!

ومع أن النبرة كانت تتسم بالاغاظة أسعدتها حتى وهي تبحث دون جدوى عن كلمات تجعله يبتعد وصرخت بإلحاح:

"لا! اتركه هناك في الخارج... أرجوك"!

وسادت فترة تردد قبل أن يتحدث مرة أخرى:

"حسنا..."

وأحست أن صوته كان جافا وكانت هناك حركة فجائية في وقع قدميه وهو يستدير ويبتعد.

وتنهدت بارتياح ثم دخلت الحمام، وتمددت بضع لحظات في المياه المعطرة وشعرت باسترخاء تام وسعادة كاملة، فقد كان غارث جافا بسبب ردها. ولكن ذلك أفضل من أن يدخل ويكتشف أنها كانت تبكي... اذ أن ذلك كان سيؤدي، حتما، الى توجيهه عدة أسئلة اليها باللهجة الآمرة الاستبدادية نفسها، وكانت عيناه ستتفحصان وجهها وتسبران غورهما، مما كان سيسبب تململها بعصبية... أجل... غضبه أفضل كثيرا من فضوله.

وأثناء العشاء كان فاترا، لكن لمحة حيرة عميقة كانت تختفي وراء تعبيراته وظلت مارجي تثرثر بلا انقطاع، وغافلة تماما عن أي شيء غير سليم. أما فريزر الذي أخذ

ينقل نظراته المختلسة بين غارث ووندي، فقد كان واضحا أنه كان متنبها الى وجود شيء غير طبيعي بينهما، وعلى أية حال لم تكن وندي تشعر بأي قلق إزاء موقف غارث، اذ كانت تدرك لمعرفتها طباعه، أنه سيعود بسرعة الى طبيعته الأصلية، ويبعد عن نفسه كل ما وجده محيرا. وكانت على حق، فقد انضم في النهاية الى الحديث. يبدو في هذه الأيام كما لو كان أكثر تقبلا لثرثرة مارجي، بل صار يبدو مستمتعا بها أحيانا.

اسرت مارجي لوندي من قبل أنها مصممة على معرفة ما اذا كانت لينيز مافارو، نجمة السينما، ضمن ركاب السفينة، وهذا سر وندي لكنها لم تهتم به، غير ان مارجي لمحت لها أن لديها خطة نادرا ما تخفق، وحينئذ سألت وندي باهتمام:

"حقا"؟

"لدي خطة، لكنني لن أخبرك بها إذ ستعرفين النتيجة قريبا".

وضحكت وندي وتركت المسألة تمر عند هذا الحد، واستمرت مارجي في توجيه بعض التعليقات التي تثير الاغاظة عن صداقة وندي مع غارث.

"لا شيء".

بدأت وندي الحديث لكن مارجي قاطعتها فورا وقالت:

"لا شيء... مع من تتحدثين؟ من الواضح أنكما وقعتما في حب بعضكما البعض، لماذا... ان الجميع يتحدثون عن ذلك".

واندفعت وندي في الرد بلهجة استياء:

"الجميع؟ لكن هذا سخيف"!

وفكرت وندي أن غارث لن يعجبه ذلك، وانزعجت لاعتقادها أن ذلك قد يؤدي به الى نبذها تماما، وكانت تعرف أنه لوحدث ذلك، لعانى قلبها من جرح نافذ سيظل يؤلمها حتى النهاية.

"سخيف"؟

قالت مارجي ذلك وهي تهز رأسها، وواصلت

مزاحها المرح، غير مدركة أثره البالغ على الفتاة التي اضطرت للانصات اليه:

"لماذا تخجلين من الحقيقة ياعزيزتي؟ لست خجلة من علاقتي مع دينبي وسنتزوج قريبا جدا، ألن يكون لطيفا لو تزوجتما أنت وغارث أيضا، سيكون هناك زواج ثنائي عندما نعود جميعا الى ساوثهامبتن".

"مارجي، أرجوك، كفي عن هذا الهراء! غارث لا يحبني ولا يمكنه أن يفعل إطلاقا! فهو أعزب بالسليقة! اسألي فريزر اذا كنت لا تصدقينني! غارث وأنا مجرد رفيقين في هذه الرحلة".

ونظرت اليها بتوسل وقد ظهرت بوادر الظلال والخوف في عينيها البنفسجيتين الجميلتين وأضافت:

"لا تذكري شيئا على الاطلاق لغارث، عديني يا مارجي، عديني بأمانة!"

ونظرت اليها مارجي في رعب وقالت:

"عزيزتي، تبدين في غاية الانفعال... ان المرء يظن أن حياتك نفسها متوقفة على عدم سماعه الشائعة التي تدور حولكما. هل هناك شيء ما"؟

وجف حلق وندي وهي تقول متسائلة في خوف:

"هل هناك شائعة تدور حقا"؟

"بالطبع... لكن هناك شائعات تدور حول عشرات آخرين ممن تآلفوا معا منذ وطئت أقدامهم سطح السفينة... هناك دائما قصص عاطفية فوق سطح السفن تعقبها حفلات خطوبة وزواج، لذلك لا أستطيع أن أدرك لماذا أنت قلقة هكذا".

"غارث لن يحب الشائعات من هذا النوع، وسينبذني"!

وهكذا كشفت عما في قلبها، واذا لم تكن مارجي قد أدركت الآن أنها ينبغي ألا تذكر شيئا لغارث فانه لن يكون هناك في وسع وندي أن تفعل شيئا ازاء ذلك.

"فهمت... اذن انه الحب من جانب واحد، في الوقت الحالي؟ لكن انتبهي لكلماتي ياعزيزتي"..

وواصلت مارجي حديثها بطريقتها المباشرة المميزة بينما كان مفروضا أن تتكلم وندي:

"لن يستمر الحال هكذا دائما ، انك أجمل كثيرا من الا يقع في حبك، بالتأكيد أخبرك بأنك جميلة"؟
"أجل... فعل"
وتعجبت وندي مما اذا كان وجهها قد شحب كما شعرت. كلمات مارجي هزتها بالتأكيد، وجعلت قلبها يدق بصورة مؤلمة... لو نبذها غارث... لا... ينبغي ألا يفعل. لن تكون قادرة على تحمل ألم فقده أو عذاب رؤيته يحول اهتمامه الى فتاة أخرى... ربما الى نيكول رنتون.
"كنت أعرف ذلك! لا ياعزيزتي، أعدك بألا أقول كلمة تجعله يشعر بانه أحمق أو يقرر أن يتخلى عنك. وهو شيء غريب، لأنه قطعا لن يتخلى عنك. لكنك تخشين أن يفعل، وهكذا، كما قلت، سأغلق فمي مهما كان الأمر صعبا علي"!
وفكرت في أن تضيف شيئا، لكنها ابتسمت ابتسامة عريضة أثرت على وندي التي استجابت بابتسامة سريعة من شفتيها اللتين كانتا ترتجفان منذ لحظة واحدة وتعكسان القلق الذي تغلغل في داخلها عندما سمعت تعليقات مارجي.
ووفت مارجي بوعدها فلم تقل شيئا على مائدة العشاء بشأن علاقة الحب كما سمتها فيما بعد، لكنها فاجأت وندي عندما قالت وهي تنقل بصرها بين غارث وفريزر، وقد اتسعت عيناها وارتسمت فيهما البراءة:
"هل سمع أيكما شيئا عن نجمة السينما المفروض أنها فوق سطح "الفايسون".. تقوم بالرحلة متخفية"؟
وجفلت وندي بوضوح. اذن هذا ما كانت مارجي تقصده عندما قالت ان وندي ستعرف قريبا كيف ستمضي في محاولة معرفة شيء عن وجود نجمة السينما فوق السفينة.
وعندما أدركت وندي فجأة ان كلا الرجلين ينظران اليها، احمر وجهها بشدة، اذ كانت نظراتهما المحدقة فيها أكبر من أن تتحملها دون أن تنهار أمامها. ونكست رأسها وهي تلمس، بلا هدف، رغيف الخبز في الطبق أمامها وجاء التعليق الناعم من غارث:

"تبدين مضطربة بعض الشيء يا وندي، هل هناك شيء يتعبك"؟
واضطرت الى رفع رأسها وردت على نظرته غير المبتسمة وقالت بنبرة متلعثمة يسودها الارتباك:
"لا شيء البتة. لماذا تسألني؟ لا أعرف لماذا تسألني"؟
وغمغم ضاحكا:
"فضول، لا شيء أكثر أو أقل ياعزيزتي".
ونقلت مارجي نظراتها بين كل منهما وهي حائرة ومتجهمة، وقد اتضح أنها مرتبكة بشأن كل ما يجري، وواصلت حديثها السابق:
"إنكما لم تردا على سؤالي، هل تعرفان شيئا عن نجمة السينما هذه"؟
ولمعت عينا غارث جذلا وقال:
"لم لا تسألين وندي"؟
ونظرت وندي بدهشة وقالت:
"أنا ؟ لماذا أنا"؟
وقال فريزر، الذي دخل في الحديث فجأة:
"أعتقد أننا ينبغي أن نغير الموضوع، فانه ليس من شأن أي منا ان كانت لينيز مافارو فوق السفينة أم لا، ولو كانت موجودة، وترغب في أن تظل مجهولة الشخصية، فأي حق لنا أن نبدأ البحث والتقصي"؟
ونظر مباشرة الى غارث ثم قال:
"انا واثق أنك توافقني"؟
وبدا أن غارث يكتم الضحك، ورد بعد فترة:
"أجل، أوافقك من كل قلبي. آسف يا مارجي، لكن لا يمكننا أن نقول شيئا عن الفتاة، وكما سمعت لا نعتقد أنه من اللائق اقتحام عزلتها".
ونظر الى وندي ثم قال متسائلا وهو يرفع زجاجة الشراب:
"مزيدا من الشراب؟هيا، اشربي، ما الذي أصابك الليلة"؟
ولم ترد، لكنها أخذت كأسها وشربت بعضا من السائل الأحمر القاني الذي بها، وملأ غارث الكأس مرة أخرى

وهو يركز عليها بعينيه الداكنتين.
ولكن لو قصد أن يتحدث مرة أخرى فقد ضاعت منه الفرصة بظهور المضيف، مما أدى الى وقف الحديث، وعندما استأنف كان يدور حول المسائل العادية، ويتركز حول أوجه النشاط في اليوم الذي انقضى في سلفادور.
وكما أصبح عاديا بعد العشاء، اتجه غارث ووندي الى أحد الأندية الليلية، وبعد ذلك الى المرقص، وكالمعتاد اختتما الليلة بالمشي فوق سطح السفينة حيث قضيا نصف ساعة أو نحوها، واقفين بجانب الحاجز، وبالنسبة الى وندي كانت "هذه العلاقة" كما يسميها الناس، هي كل ما ترغب فيه. قمة سعادتها، تحقيق أمنية قلبها، فقد كان غارث أول حب لها وسيكون آخر حب، وأراحت رأسها تحس بدقات قلبه السريعة، وتتعجب كيف سيكون رد فعله لو علم الحقيقة.
وغمغم وأنفاسه الرطبة تداعب خدها:
"إنك جميلة جدا.. انني أود...."
وتوقف عن الكلام، وابتعدت عنه لكن وجهه كان في منطقة الظل المنعكس لإحدى سفن النجاة الملحقة بالباخرة، ووجدت نفسها تحاول أن تمسك بالتعبير المراوغ لملامحه التي بدت داكنة وغير واضحة، وفجأة بدا كما لو كان بعيدا عنها وفي غمرة خوفها اقتربت بقوة غريزية، وكان وجهها مرفوعا وشفتاها الجميلتان تعبران... وأحنى رأسه.
وفكرت كيف يمكن أن يتغير أسلوبه لكنها أدركت أيضا أنه، أخيرا جدا أصبح أكثر رقة وتحملا، اذ أصبحت لهجة التهكم والسخرية والازدراء أقل وضوحا عما كانت في البداية، وخرجت من شفتيها الكلمات بقوة لم تستطع أن تقمعها عندما همست قائلة:
"غارث.. إنني سعيدة للغاية الليلة".
وأفلتت منه ضحكة قصيرة وقال:
"انني مسرور لذلك يا وندي. وأنا سعيد أيضا".
"هل أنت سعيد بأننا تقابلنا"؟
"كيف يمكنك أن تسألي هذا السؤال"؟
واطلقت ضحكة ذات رنين موسيقي جعله يزفر بسرعة

وهي تقول:
"ربما أسأل لأنني لست واثقة"..
وهزها هزة خفيفة وهو يقول:
"إنك واثقة.. جدا".
"انظر الى البحر... انه متلألىء".
"إنني أنظر اليك، لا الى البحر".
وكانت الكلمات تأكيدا مثيرا بأن جاذبيتها له ما زالت قوية. وبرقت عيناها ومنحته ابتسامة ذات جمال لا يصدق، وتنهدت مرة أخرى وهي تفكر الى أي مدى وصلت هي وغارث منذ الكلمات التقليدية المهذبة التي تبادلاها في أول تعارفهما، ثم قالت:
"انني سعيدة"..
ولم يعد يستطيع أن يسيطر على انفعالاته الحارة.
واستجابت، ولكن في حذر، وهي تشعر بفرحة غامرة من سحر اللحظة ولسانها يلهج بالشكر للقدر الذي سمح لها في النهاية بأن تعرف جمال الحب.
وأخيرا ابتعد عنها، ولاحظت تعبير الفرحة الغضة في عينيه الداكنتين الثاقبتين، وعاتبها قائلا:
"طفلتي الحذرة. ألم تعرفي حتى الآن أن الحياة وجدت لنحياها"؟
وجفلت ثم انسحبت، لكنها شعرت بالراحة عندما لاحظت أن هذا لم يسترع انتباهه، وقالت:
"لا أعتقد أن تعبيرك يعني أنك ترغب في إقناعي بأنك تقصده"...
وتجهم عندما سمع هذا الكلام، ولوى شفتيه وقال:
"أجد ما ترمين اليه غامضا الى حد ما يا عزيزتي".
وضحكت قائلة:
"هراء.. إنك لست بهذه الخشونة"!
واستجاب لضحكتها، وقال وفي صوته نبرة فضول:
"ما الذي يجعلك تظنين أنني لا أعني حقيقة ما تنطوي عليه كلماتي"؟
"لا أدري"...

وظهرت تقطيبة خفيفة على جبهتها تدل على أنها تبحث عن تعليق ثم قالت:
"ربما لأنك لا تبدو لي من هذا النوع من الرجال".
وساد صمت لكنه لم يستمر الا لحظة خاطفة اذ قال مؤكداً بشيء من المرح:
"جميع الرجال هكذا... لقد تعلمت أنت ذلك منذ فترة طويلة".
"أنا"؟
شهقت وهي تقول ذلك وقد تسارعت دقات قلبها اذ رأت في دهشة، التغيير الحاد الذي طرأ على تعبيراته.. كم يسهل أن يؤذي مشاعرها! وتساءلت:
"بم تتهمني يا غارث"؟
ومرة أخرى هزها وهو يقول ضاحكا في سخرية وازدراء:
"كفى... لقد لعبنا لعبة التحايل لإقناع بعضنا البعض بما نريده... وكانت لعبة لطيفة. كان تغييرا لكلينا، لكن هذه اللعبة لا يمكن أن تستمر يا... وندي... دعينا نكشف أوراقنا على المائدة هلا نفعل"؟
وأصيبت بخيبة أمل من تحوله مما جعل قلبها يئن بعنف تحت وطأة الاصابة التي تلقاها، ورفعت وجهها المفعم بالألم والذهول وسألت:
"لماذا ترددت قبل أن تنطق اسمي"؟
ونظر اليها غارث وقد اكتسى وجهه أيضا بتعبير الذهول، لكنه كان مؤقتا فقط حيث ظهرت لهجة الازدراء المألوفة في صوته عندما قال:
"أعتقد أنك تعرفين لماذا"..
وعندما فتحت فمها لتحتج رفع يدا آمرة لمنعها وهو يقول:
"لا، أرجوك، لا تستمري في المهزلة أكثر مما فعلت، انك ممثلة بارعة".
"ممثلة؟ كيف تتهمني بشيء مثل هذا؟ لماذا أمثل؟ لا سبب على الاطلاق يجعلني أفعل ذلك".
وكانت عيناها الواسعتان البريئتان وارتعاشة فمها الشديدة وحركة أصابعها المستمرة. كل هذا كان شاهدا على صدقها،

لكنه ضحك بمرح. واختلس نظرة الى ساعته، ومضت تقول:
"من البداية كان واضحا أنك تعاملني بتشكك وتتخذ أسلوبا يتسم بالازدراء معي وتسخر مني في داخلك".
وخفت صوتها عندما أصيب حلقها بغصة مؤلمة، وساد الصمت عدة لحظات، بينها وبين الرجل الذي تعلمت أن تحبه بسهولة وبسرعة وأخيرا نطقت:
"أعتقد أن الأفضل أن أتركك، يا غارث".
وحبست أنفاسها في انتظار الكلمات التي ستعيد اليها سعادتها، تلك الكلمات التي ستؤكد لها مرة أخرى رغبته في البقاء معها، لكن ما سمعته هو:
"إذا كانت هذه رغبتك فاننا اذاً سنتمنى لبعضنا البعض ليلة طيبة... وسأوصلك الى غرفتك".
وعند باب غرفتها انتظر فقط ليلقي عليها تحية المساء قبل أن يبتعد.
ماذا حدث؟ سألت نفسها هذا السؤال مرة ومرات وهي مستلقية على فراشها تتقلب من جانب لآخر، لو لم تكن أفكارها مضطربة هكذا لكانت قادرة على تجميع الحقائق التي أدت الى هذه النهاية التي لا تصدق ليوم وليلة بديعين.. لقد كان غارث لطيفا - ولكنه كان لطفا مصطنعا بلا شك - وكان رقيقا وهو يبثها حبه، وأخبرها بأنه سعيد، وأدركت أنه قصد ذلك عندما قاله، كذلك جاملها عندما قال انه ينظر اليها هي لا الى البحر. ثم زادت حرارة انفعاله واتهمها بأنها حذرة. أجل ركزت أفكارها على تلك النقطة لكن ماذا حدث بعد ذلك؟ وفجأة بدون تحذير شعرت بوخزة مؤلمة في رأسها جعلتها تجفل وتمد يدا مرتعشة الى صدغها.
ولم تستطع أن تتجنب سؤال نفسها، لو كانت تلك هي النهاية، فقد جاءت مبكرة، لكن في حالة مثل حالتها يكون من الصعب على الإخصائي أن يقول بالتأكيد متى تأتي، ونهضت من الفراش وارتدت "الروب دي شامبر" فوق قميص النوم، وعندما نظرت في المرآة وجدت وجهها أبيض اللون، مع وجود حبات دقيقة من العرق على جبهتها، وكانت كفاها مبللتين بالعرق فدخلت الحمام لتغسلهما... هل هذه

هي النهاية؟ سألت نفسها مرة أخرى عندما شعرت بوخزة أخرى من الألم في رأسها وسارت عبر الغرفة وهي تطيل المسافة بالدخول الى الحمام في كل مرة تصل فيها الى الباب، لم تستطع أن تستلقي فوق الفراش، مع ذلك فان مشيها في أنحاء الغرفة يزيد - فيما يبدو - الألم المبرح في رأسها، ابتلعت قرصا لكنه لم يخفف الألم. ولم تستطع أن تفهم لماذا.

هل تستدعي طبيب الباخرة؟ ألقت نظرة على الساعة فعرفت أنها تجاوزت الواحدة صباحا، ولذلك استبعدت الفكرة، لو كانت هذه هي النهاية فلن يكون في وسعه أن يفعل شيئا، اذن فالأفضل ألا تزعجه.

وأخذت تذرع الغرفة، وهي تتوقع أن تتهاوى في أية لحظة. وأن تنتابها الغيبوبة المفزعة التي لا مفر منها، فتحملها الى النهاية. وفكرت: غدا سيجدونني أو مساء الغد في مثل هذا الوقت.

وقطعت أفكارها وهي ترتعش بقوة، وقد ظهر العرق مرة أخرى على جبهتها. وبيد مرتعشة أخذت منديلا وجففت وجهها. كانت يداها في مثل برودة الثلج، وبدون أن تعي ما تفعل ذهبت الى الحمام ووضعتهما تحت الماء الساخن، ثم، وهي لا تزال لا تعي ما تفعل، بحثت عن منشفة وجففتهما، ثم أعادت المنشفة بعدما طوتها بعناية بالغة فأصبحت كأنها خرجت من علبتها للتو، وحدقت فيها ثم أغلقت عينيها، ثم حدقت مرة أخرى، وأدركت أنها على وشك أن تفقد الوعي وأدركت أيضا أنها لو فقدت الوعي فربما لا تكون تلك النهاية. ربما تعود الى وعيها مرة أخرى ويتكرر كل شيء ثانية.

وفكرت بفتور: الأفضل كثيرا لو انتهت الآن، بعدما فقدت غارث الى الابد بدون سبب يمكنها تحديده وبدون أي شيء فعلته معه وهي في كامل وعيها. إن تصرفه في مفارقتها فجأة يبرهن قطعاً أنه لم يشعر بأي من الأحاسيس التي تأثرت هي بها. إنه لا يكن لها أي حب، وهذا شيء جميل لأنها الآن، عندما عاملها بمثل هذه القسوة، ولم

يرد بسخرية على تأكيدها بأنها لا تمثل، كانت تشعر بالراحة لأنها أخفقت تماما في أن تحرك في داخله شيئا يماثل الحب.

وأخيرا بدأ الألم يخف، وكانت تعلم أنه سيختفي حالا، لكنها ظلت مستيقظة ساعة أو أكثر، تذرع الغرفة وتتساءل كيف ستقضي الشهرين المقبلين.

يمكنها أن تترك الباخرة في ريو، فكرت في ذلك بعدما حسبت أنها سيتبقى معها أكثر مما يكفيها لدفع نفقات العودة جوا. بما أنها أعدت ميزانيتها للقيام بجولات في موانىء عدة، في جنوب أفريقيا وسيشل وبالي واليابان. لن يكون هذا المال مطلوباً للجولات، لكن، من ناحية أخرى لو أنفقت منه جزءا على رحلة العودة جواً فلن يتبقى لها ما يكفي لاحتياجاتها طول الشهرين القادمين، وغمغمت في ضيق:

"فكرت في هذا من قبل وقررت أنه ليس معقولا. ينبغي أن أظل في السفينة".

وفي السابعة والنصف من صباح اليوم التالي كانت فوق سطح السفينة، بينما كان غارث في أحد حمامات السباحة، مع فريزر وصديقته، وأومأت وندي لفريزر لكنها استدارت عائدة من دون أن تنتظر غارث ليلحظ وجودها، وأثناء الافطار كانت وحدها مع مارجي، وعندما ألقت نظرة على المطعم الكبير رأت غارث يتناول الافطار مع نيكول على مائدتها.

وهذا التغيير وقت الافطار مسموح به اذ أن الكثيرين لا يتناولون الافطار على الاطلاق، ونتيجة لذلك تكون هناك أماكن خالية في بعض الموائد، والواضح أن رفاق نيكول على المائدة كانوا قد تناولوا وجبة مبكرة او لم يهتموا بالمجيء الى المطعم على الاطلاق.

وعندما لمحت مارجي التعبير الذي ارتسم في عيني وندي نظرت اليها بتعاطف وسألت:

"هل انتهى كل شيء"؟

وأومأت وندي بفتور، وقالت:

"أجل، انتهى كل شيء".

ولم تستطع أن تخفي التعاسة التي ظهرت في

عينيها، لكنها تمكنت من أن يكتسي صوتها بنبرة استخفاف، أملا في تجنب لسان مارجي، والهروب من أية تساؤلات أخرى من جانبها، عندما أضافت:

"كانت مجرد عاطفة عابرة. لم يأخذها أي منا مأخذ الجد بأية حال".

وردت مارجي بأسلوبها الفظ:

"أحسنت القول ياعزيزتي، لكنني أعرف أنك كنت جادة للغاية. وقد تحدثنا بشأن ذلك. أتذكرين؟ وقلت إن العاطفة من جانب واحد، في الوقت الحالي - لكن غارث سيقع في حبك في النهاية".

وبللت وندي شفتيها قبل أن ترد، وهي لا تزال تحاول أن تبدو أسعد مما تشعر:

"كانت تلك تصوراتك فقط يا مارجي. لم أقل أبدا إنني جادة".

وبعد فترة توقف بدا فيها أن مارجي ستواصل مناقشة المسألة قالت:

"فليكن. غير أن هذا شيء يدعو للأسف. فأنت وهو أكثر رفيقين ظريفين فوق الباخرة كلها"!

وابتسمت وندي رغم أنفها وهي تقول:

"شكرا لك يا مارجي. غارث هو أكثر الرجال وسامة في الباخرة، لكنني واثقة تماما أن هناك نساء أكثر فتنة مني بكثير".

وبينما كانت وندي تقول ذلك حولت تلقائيا نظرها الى المائدة التي تجلس عليها نيكول، التي بدت فتنتها تسحر الألباب وهي ترتدي ثوباً ذا نقوش من الورود والصدر مزموماً بشرائط رفيعة من قماش بلون متناقض وهي الشرائط التي زينت بها الجيوب وحافة الذيل، وقالت مارجي بنبرة ازدراء:

"لا أقول إنها أجمل، ذلك الثوب الذي ترتديه الآن هو أول ثوب لها يعجبني. أما ثياب المساء التي ترتديها فهي أبشع من أية كلمات".

"الرجال تعجبهم تلك الثياب الجريئة".

ردت وندي بذلك وهي تركز نظرها على حلقات فاكهة الليمون الهندي التي وضعها المضيف أمامها.

"بعض الرجال وليس كلهم".

وبدأت مارجي تراقب وندي، وقد أخذت عيناها الحادتان تنعمان النظر في وجهها وعينيها، والهالات الداكنة التي تركتها ليلة السهر والقلق ثم سألت:

"ماذا ستفعلين هذا الصباح"؟

وقبل ان تتلقى ردا مضت تقول انها هي ودينبي ينويان الاشتراك في بعض الألعاب المشتركة فوق سطح الباخرة، واقترحت على وندي أن تنضم اليهما وأضافت:

"هناك جوائز لمختلف الألعاب. ستكون تلك تسلية ياعزيزتي، لذلك فالافضل أن تأتي وتنضمي الى الحشد المرح".

"أعتقد أنني سأفعل".

وافقت وندي وهي مندهشة للغاية لأنها كانت تنوي العودة الى غرفتها والمطالعة حتى تشعر بالنوم لتعويض ما فقدته الليلة الماضية.

"عظيم! سيفرح دينبي، فهو معجب بك بلا حدود"!

ومرة أخرى ابتسمت وندي. يالهما من شخصين رائعين! صريحين بعيدين عن الادعاء ليسا مثل كثير من الركاب الذين تجعلهم ثرواتهم الضخمة يتصرفون كأنهم فوق مستوى الناس العاديين. وانتهت بها أفكارها الشاردة الى التركيز على غارث ريفرز وظلت تفكر بضع ثوان في المعلومات التي ذكرتها مارجي حول كونه مرهقا بالعمل الى هذه الدرجة وعلى مدى فترة طويلة الى حد أن طبيبه أمره بالاشتراك في هذه الرحلة البحرية.

وبدأت ألعاب السطح فور وصول وندي مع مارجي ودينبي، ولأنها نظمت بدقة فقد مضت بيسر، واستمتع بها المشتركون الى أقصى حد، ووجدت وندي نفسها في الدور قبل النهائي في لعبة حلقة الرمي، وأثار ذلك دهشتها اذ كانت هذه ثالث مرة فقط تشترك فيها في هذه اللعبة، وفي المرتين السابقتين كان شريكها غارث الذي هزمها، وبعدما كسبت الدور قبل النهائي وجدت نفسها

ثم استدارت الى غارث ولمّحت الى أنها مستعدة لمرافقته. وقال:
"سنحاول أن نجد مائدة حول حمام السباحة، اذا كان ذلك يناسبك؟" وأومأت برأسها قائلة":
"أجل... يناسبني".
وسارت بهدوء، كذلك فعل هو، لكن حالما جلسا في مكان منعزل الى حد ما في الصف الخارجي للطاولات المحيطة بحمام السباحة انحنى وقال بلهجة مبهمة لكنها تأكدت من أنه يقصد أن تكون خالية من أي تعبير:
"بالنسبة الى الليلة قبل الماضية هل يمكننا أن نبدأ من حيث كنا قبل أن أتركك بقليل"؟
ولمست قسوة واضحة في سلوكه، كان يكافح لكي يخفيها، ومرة أخرى أدركت ذلك الانطباع الغريب بأنه بينما يتمنى جزئيا أن يحبها فانه جزئيا يتمرد على الفكرة نفسها أو بمعنى آخر، كما استنتجت، يود كثيرا أن يتخلى عنها تماما لكنه يجد أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك. غريبة تلك الأحاسيس والمشاعر المختلطة في رجل مثل غارث، لكن الشيء الذي لم يدر بخلد وندي على الاطلاق في ذلك الوقت هو أن جاذبيتها ربما تكون من القوة فلا يستطيع مقاومتها مهما حاول بعنف، فهي لم تكن مدركة لفتنتها بما يكفي للاقتناع بأنها يمكن أن تأسر رجلا يتمتع بشخصية قوية مثل غارث ريفرز، وأخيرا غمغمت في تشكك:
"أعتقد أننا يمكن أن نعود. لكنني لا أعرف لماذا تصرفت معي هكذا يا غارث"؟
"ولا أنا أعرف".
قال ذلك لكن انتابها انطباع بأنه ليس أمينا معها تماما، وسألت نفسها: ما الذي ينبغي لها أن تفعله؟ ومن دون تردد قالت لنفسها ان هناك شيئا واحدا معقولا هو أن تقبل ما تقدمه لها الحياة وتشعر بالامتنان. لو كان هناك مستقبل ينتظرها، اذن لكان الرد مختلفا تماما... إذ اتضح من موقف غارث العام أنه لا يمكن أن تؤدي هذه العلاقة بينهما الى شيء دائم. انه لن يتزوجها إطلاقا لأنه،

في صباح اليوم التالي خصماً لنيكول. وقبل أن تبدأ كانت واثقة أنها ستخسر، لأن غارث كان قريبا منها، مجرد متفرج غير مهتم ولا شك. انه يعطي نيكول تأييده المعنوي، لكن لدهشتها أيضا كسبت وندي، وكان غارث أول المهنئين لها، مما تسبب في كدر الفتاة الأخرى اذ قال:
"أحسنت يا وندي! كانت لعبة ممتازة".
"شكرا لك، لكنها كانت لعبة حظ أكثر من أي شيء آخر".
"لم يكن هناك شيء من هذا".
ثم توقفت لحظة قبل أن يقول:
"ما رأيك في فنجان من القهوة"؟
ومن الطبيعي أن دعوته أدهشتها، وترددت، لكن شيئا ما في كلامه جعلها تقول، من دون أن تتوقف لتعرف ما اذا كانت ستسبب لنفسها مزيدا من البؤس أم لا:
"أتوق الى ذلك. شكرا لك يا غارث أين نذهب"؟
وكانت واعية لوقوف مارجي على مقربة منها فاستدارت وابتسمت لها، وألقت مارجي نظرة مختلسة على غارث من تحت أهدابها قبل أن تقول:
"تهنئتي يا وندي... جئت للتو بعد أن انشغلت بالحديث مع ذلك الرجل صاحب صالة البنغو، وحاولت أن أعرف كيف أمكنه جمع كل هذه الأموال التي يدعي أنه جمعها، وتمنيت لو لم أكن على ما أنا عليه من الثروة حتى يمكننا، ديني وأنا، أن نفتح صالة بنغو، اذ بدا لي أن المال يأتي مقابل لا شيء".
وألقت نظرة أخرى على غارث ثم واصلت حديثها:
"إذن فأنت ستأخذها يا غارث؟ أرجو لكما وقتا لطيفا معا... أراكما وقت الغداء".
وابتعدت ثم ظهر شو ومد يده الى وندي قائلا:
"أهنئك لفوزك... لعبت لعبة هائلة".
وتجهمت وندي، فهي لا ترى أنها قامت بأي نشاط زائد حقق فوزها وهي واثقة أنها لو أعادت اللعبة مرة أخرى لكان من المحتمل أن تخسرها وعلى أية حال شكرته بنعومة

لسبب يعرفه هو أكثر من غيره، لا يكن لها الاحترام الكافي لكي يريدها زوجة له، هل ينبغي لها أن تصر على معرفة السبب؟ وتجهمت إذ أدركت بالفعل أنه لا فائدة من تحريات قد تؤدي الى لا شيء، فلنترك هذه المسألة، ولتأخذ المقبول وتحاول أن تستمتع بكل لحظة غالية باقية لها. هكذا منحته ابتسامة حلوة وقالت بصوتها الناعم الموسيقي:

"لا بأس إذن، لم تكن المسألة هامة. أجل، يمكننا أن نبدأ من جديد." لم تكن تعرف رد الفعل الذي تتوقعه. هل هو الاعتراف بالجميل او الشكر الجزيل، والواقع أنها كانت ستشعر بالارتباك لو حدث ذلك".

"رائع يا وندي".

وابتسم حينئذ... واحدة من أندر ابتساماته جعلت قلبها يقفز فرحاً.

"والآن الى القهوة..."

٦ - حفلة الأزياء التنكرية

قضت وندي وغارث بقية النهار في انسجام لطيف واستمتعا بحمام شمس فوق أحد سطوح السفينة الكثيرة، واحتسيا المشروبات المثلجة، واستمعا الى الموسيقى، وتناولا غداء شهيا ثم اشتركا في تناول شاي مابعد الظهيرة مع فطائر خفيفة لذيذة وتبادلا الاحاديث المختلفة وقبل موعد العشاء بنحو ساعة وقفا بجوار الحاجز لبضع دقائق ثم توجه كل منهما الى غرفته الخاصة، ولم يذكرا شيئا آخر عن الليلة قبل الماضية، وبدا كأن غارث مصمم على نسيانها تماما واستنتجت وندي أنه، مثلها، راض بأخذ ماهو متوفر والاستمتاع الى أقصى حد بصحبتها، تماما كما اعتزمت الاستمتاع بصحبته الى أقصى حد.

وفي تلك الأمسية كانت ستقام حفلة رقص بأزياء تنكرية وبما أن جميع الركاب عرفوا ذلك قبل الابحار، فالذين كانوا ينوون الاشتراك جاءوا مستعدين تماما، وقررت وندي في النهاية، ألا تهتم بالأمر لكن بعد تفكير عميق أخرجت آلة الحياكة وأعدت لنفسها ثوبا رائعا يوناني التصميم، يشبه ذلك الذي ارتدته، في العصور القديمة، أثينا رمز الحرب والحكمة وحامية دولة أثينا، هذا الثوب الذي أطلق عليه اسم بيلوس، صنعته عشرات من الفتيات اليونانيات بأيديهن.

لقيت فكرة ارتداء الثياب التنكرية أثناء العشاء قبولا، وجاء معظم الركاب الى المطعم مسرورين يرتدون ملابس مزخرفة أو مهلهلة، ويبدون في شكل مضحك مبتذل، أو

بمظهر وسيم مرموق، وأخذ الحاضرون يضحكون بأصوات عالية، ولأن وندي عرفت أن جميع الموجودين على مائدتها والمائدة المجاورة أيضا سيرتدون ثياب الحفلة، ارتدت ثوبها وبعدما ألقت على نفسها في المرآة نظرة أطول من المعتاد رأت أنها لم تبد جذابة هكذا من قبل على الاطلاق لأن ثوبها البيلوس بثنياته الرقيقة يناسبها تماما وينسدل في رقة عليها.

ورغم أن وندي كانت تدرك أن مظهرها رائع يلفت النظر فلم تكن مستعدة على الاطلاق للاستقبال الذي قوبلت به عند دخولها المطعم الفخم الذي تلمع فيه الثريات المتلألئة بقطع الكرستال وأدوات المائدة البراقة. لقد سمعت أصوات الضحك الصاخبة وهي تتقدم نحو المدخل، وتصورت بعض الملابس المضحكة التي ستراها. وتأرجحت ابتسامة على شفتيها وهي تخطو داخل الأبواب المزدوجة الى الممر المتوسط، في البداية أخفقت في إدراك سر الهمسات الخافتة المفاجئة التي كانت موجهة اليها، لكن،اذ ألقت نظرة حولها في شيء من الحيرة بعدما خفتت آخر ضحكة أدركت أن كل عيون القاعة مركزة عليها وكان رأسها عاليا، وقامتها منتصبة، وهو أسلوبها الطبيعي في السير، واستمرت في سيرها وهي تدرك أن وجهها احمر بشدة من الخجل، وأخيرا وصلت الى مائدتها، وتنفست بعمق في ارتياح.

ونظرت حولها بابتسامة مرتعشة، وكانت عينا غارث وحدهما اللتان اهتمت بهما، رغم أن عيون الرفيقين الآخرين كانت تنظر اليها بإعجاب مماثل، وقطع فريزر الصمت قائلا:

"تبدين خيالية!"

ورددت مارجي كلماته لكنها أضافت:

"ياعزيزتي، عندما ظهرت في الممر اعتقدتك الملكة ذاتها وقد جاءت فوق السفينة بطريقة سحرية! بالمناسبة. هل أعجبك؟ وأنا بشخصية مدام بومبا دور؟"

"أجل، فإنك تبدين مثالية يا مارجي."

ثم استدارت الى فريزر وهنأته على ملابسه التي تشبه ملابس القرصان، وهي تتظاهر بالخوف عندما لاحظت الخنجر المتدلي من حزامه، أما غارث فقد ارتدى ثوبا فخما مثل

قائد روماني وابتسمت له من دون أن تنبس بكلمة، لأنه كان ينظر اليها بتركيز كما لو كان يراها لأول مرة. وأرخت أهدابها وهي تشعر بالخجل وعدم الثقة وتتمنى لو كانت تملك رباطة الجأش والثقة اللتين تتسم بهما نيكول رنتون الهادئة المتماسكة، وأخيرا قال غارث بلطف:

"تهنئتي."

وكان هذا كل ما قاله الى أن كانا يرقصان معا في الحلبة بعد ساعة ونصف وبصوته الهادىء المهذب قال لها:

"تبدين فاتنة. أين وجدت هذه الاشياء التي تناسبك تماما؟"

"صنعتها."

ردت بذلك وهي تتعجب لماذا ينظر اليها بمثل تلك الدهشة وعدم التصديق.

"صنعتها بنفسك؟"

"بالطبع. ما الغريب في هذا؟"

ولم يقل شيء ومضت تقول:

"رأيت صورة لهذا الزي في الكتاب عن الفن اليوناني، فقررت أن أحاول حياكة واحد للرحلة. تبدو مندهشا لأنني استطعت أن أنجزه."

ونظر اليها ثم هز رأسه قائلا:

"ينبغي أن أعترف بأنني مندهش، يبدو الثوب معقدا لعيني الرجل. ودار بها وأدركت أن الموضوع انتهى، وأدركت أيضا أنه كان سيقول شيئا يعبر عن السخرية أو الازدراء، لكنه غير رأيه.

ومضت الأمسية بعد ذلك على أجنحة ذهبية وعندما أعلنت أسماء الفائزين بعد لحظات من منتصف الليل دوى تصفيق حاد عندما قاد غارث وندي الى المنصة، وقد علت حمرة الخجل وجهها، حيث تسلمت جائزتها من القبطان نفسه وقالت مارجي:

"حقيبة لمستحضرات التجميل من الجلد الباهر المزخرف، لكنها تساوي ثروة، ستبقى مدى الحياة ياعزيزتي."

"... أجل.. ستبقى...

مدى الحياة! وأدركت وندي أن وجهها أصبح

شاحبا وخفضت رأسها بسرعة وهي غير راغبة في أن يلاحظ غارث هذا الشحوب. واندفعت مارجي تقول في اشمئزاز:
"وذلك الرجل صاحب صالة البنغو كيف يكسب الجائزة الأولى للرجال؟ لا أعتقد أنه كان ينبغي أن يفوز. ألا توافقونني؟"
ضحك غارث وقال:
"لا بد أن الحكام شاهدوا أن ثيابه هي أفضل الثياب بين الرجال، والا مامنحوه الجائزة الأولى".
وكان الرجل يشعر بالسرور وهو يري الجميع ولاعة السكاير الذهبية التي كسبها.
وبعدما انتهى كل هذا اتجهت وندي وغارث الى سطح السفينة وأخذا ينظران الى البحر الهادىء، الداكن. كل شيء كان هادئا وأخذت يده تربت على شعرها الحريري وهو يقول:
"شكرا لك على النهار الجميل والأمسية الرائعة. سأدعك تذهبين الى غرفتك الآن لأنك منذ لحظات في قاعة الرقص كنت شاحبة وأعتقد أنك متعبة".
وكانت لهجته ناعمة تتسم بالاهتمام وتساءلت ما إذا كان هذا يخيل اليها أم أنه قلق عليها حقيقة. ماذا يهم، ونظرت اليه وابتسمت في وجهه وهي تقول:
"ينبغي أن أعترف بأنني متعبة الى حد ما. شكرا لك على يوم مدهش وأمسية سعيدة للغاية".
"ولا ننسى انك ربحت الجائزة!"
قال هذه العبارة وفي وجهه الوسيم تعبير عن الاحساس بالزهو، مما جعل وجنتيها تتألقان فرحا ثم أضاف:
"كنت محط أنظار الجميع وحسد كل امرأة هناك".
وضحكا وتذكرت النظرات الداكنة الحاقدة التي رمتها بها نيكول زنتون في فترات مختلفة أثناء الأمسية. وتحدث غارث مرة أخرى وقال عدة عبارات إطراء مما تحب سماعه، وكانت يده التي تمسك بيدها دافئة وقوية، وشعرت بالأمان وهي معه، وفكرت: إنني أتساءل هل سيكون معي في ذلك الوقت فان الامر لن يكون مفزعا، وهمست لنفسها وهي تدفن رأسها في صدره:
"سأكون أكثر شجاعة وهو معي".

وأبعدها عنه ونظر اليها نظرة فاحصة وهو يواصل كلامه:
"إنك ترتعشين يا عزيزتي ما الأمر؟"
وكذبت وهي لا تدرك أنها ترتجف وقالت:
"الجو بارد قليلا هنا.."
وتجهم غارث وهز رأسه وهو يقول:
"أتحسين الجو بارداً؟ إنه ليس كذلك، إما أنك مرهقة للغاية أو أنك على وشك الاصابة بنزلة برد، لنأمل أن تكون الحالة الأولى".
وردت بخفة:
"أنا متأكدة أنها كذلك، أنا لا أصاب بالبرد كثيرا".
وفي لهجة حاسمة آمرة قال:
"إذن، الى الفراش أيتها الشابة، وإياك والجلوس والمطالعة".
كم يبدو مثل الأطباء وهو يقول ذلك. فكرت في هذا وهي تتذكر مناسبة سابقة لاحظت فيها الشيء نفسه وقال باللهجة الآمرة نفسها:
"الأفضل أن آخذ منك وعداً بذلك هل تعدينني؟"
"أعد بأني لن أطالع".
وتأرجحت أفكارها وهي تشعر بمتعة في هذه اللحظة من ذلك الحب الذي طغى عليها. وبعد لحظة أخرى قالت ثانية:
"لا.. لن أكون خائفة وهو معي عندما تأتي النهاية".
كانت زيارة بالي في مقدمة المعالم البارزة للرحلة البحرية. وطول اليومين السابقين لوصول الباخرة اليها أظهرت وندي شعورها بالترقب السعيد، إذ قال غارث أنه سيستأجر سيارة لليوم الأول. أما اليوم الثاني فيمكنهما أن يتجولا كما يرغبان ويستمتعان بالمناظر بطريقة أكثر سهولة وراحة.
ورست السفينة في الثامنة صباحا، وكانت وندي وغارث على استعداد للنزول الى الشاطىء فورا، وبعد نصف ساعة كانا في السيارة وقد جلس غارث أمام عجلة القيادة وقصدا أولا حي جيليك آندماس حيث كانت وندي تريد أن تشاهد المصنوعات الفضية اليدوية وأشغال الحفر على الخشب الخرافية التي سمعت عنها من مارجي، وكان غارث في

شوق مثلها لرؤية تلك الأعمال اليدوية · طول الطريق، السيارة تمضي تحت سماء صافية ساطعة الشمس كانت وندي تبدي تقديرها وهي مسحورة، بجمال الجزيرة الذي لم يمس، تلك الجزيرة التي كانت تمثل أقرب مكان للجنة، كما أخبرتها مارجي في الليلة السابقة ورغم أن بالي بمثابة حلقة صغيرة واحدة بين سلسلة الجزر التي تسمى أندونيسيا فإنها تتمتع ببحر خاص بها، في بساطتها وصدقها · في مزروعاتها ذات اللون الأخضر اللامع، وأزهارها الرائعة التي انتشر شذاها الجميل حتى وصل الى السيارة، وقالت وندي بتأثر شديد:

"أليست جميلة؟ كنت أدرك أنني لن أصاب بخيبة أمل فيها!"

وأدار غارث رأسه الداكن واختلس نظرة اليها من الجانب لحظة خاطفة قبل أن يحول انتباهه الى القيادة، ولم يتكلم، وأدركت أنه في إحدى حالاته المزاجية التي يرغب فيها أن يكون هادئا، يتطلع حوله ويستمتع بالمناظر الريفية التي يسير وسطها، فقد كان في الحالة نفسها عندما استأجرا سيارة في ريو ومرة أخرى عندما رست السفينة في ممباسا، ثم في بومباي، واحترمت وندي رغبته في الهدوء، فجلست صامتة، وسعيدة لأنها حية وقادرة على الاستمتاع بكل ما حولها · الا أنها لم تستطع أن تفهم لماذا يحيط هذا الرجل نفسه بهالة من الغموض؟!

وكانت الطريق في بالي ممتازة، أما الطريق الذي كانا يسيران فيه فكان يحف بالشاطىء الجميل الذي تصطف أشجار النخيل على جانبيه وينتهي الى التلال، وبعدما عبرا قرية شاهدت وندي النساء، عن بعد يعملن في حقول الأرز أو يتسلقن أشجار جوز الهند ·

وعندما اعتقد غارث أنها أصدرت صوتا خفيفاً ينم عن الازدراء قال في سرور:

"إنهن لسن من العبيد كما يخيل إليك · بل يحببن العمل مع رجالهن وما يكسبنه يكون ملكا لهن ·"

"أتعني أنهن يحصلن على نصيب مما يأتي به المحصول؟"

"بل يمكنك أن تقولي أنهن يقمن بعمل تجاري صغير خاص بهن · يربين الماشية والدواجن ويبيعنها، كذلك

يقمن بعمليات النسيج لزيادة الدخل ·"

"إنهن سعيدات للغاية، ورشيقات جدا ألسن كذلك؟"

كانت وندي تراقب فتاة شابة، تضع فوق رأسها سلة ضخمة باتزان وتسير بمنتهى اليسر والرشاقة، ووجهها الجميل خال من أي تعبير، عيناها تنظران مباشرة أمامها، قدماها حافيتان، ورأسها منتصب وردفاها يهتزان بطريقة إيقاعية ·

"أنهن رشيقات جدا في الواقع ·"

رد غارث بذلك وهو يدور حول منحنى ويترك القرية وراءه وأخيرا وصلا، واشترى لها عدة تماثيل منحوتة بدقة وسوارا من الفضة بعدما أوقف بقسوة محاولاتها للاعتراض، ولبست السوار الذي ثبته فوق رسغها وهو يبتسم واحمر وجهها خجلا وقالت:

"أشكرك ·"

"لماذا؟"

"لأجل السوار الجميل، وكل تلك الهدايا الأخرى الجميلة التي اشتريتها لي ·"

وعادا الى السيارة وسارا بها عبر الريف الجميل ومرا بين القرى حيث أمكن، من خلال الابواب المفتوحة للمنازل البدائية المبنية بالطين، مشاهدة خيال النساء وهن يتحركن داخل بيوتهن ،وقد تعرت أكتافهن وغطيت الأجزاء السفلى من أجسادهن بازار طويل ينسدل حتى أقدامهن تقريبا، ثم خرجت واحدة أو أثنتان وهما تحملان فوق رأسيهما مجموعة من القرابين، وأوقف غارث السيارة لبضع دقائق وجلس هو ووندي يراقبان بينما انضمت الى السيدتين نساء أخريات من البيوت القريبة وشكلن موكبا بدأ يشق طريقه في بطء نحو مذبح أقيم في الهواء الطلق، وهنا توقفن لوضع قرابينهن ·

"بالي أرض المعتقدات الخرافية ·"

قال غارث هذا عندما بدأت النساء في التحرك مرة أخرى، ثم أضاف:

"وهكذا تجدين تلك القرابين العديدة · ليس هناك ما يخيف المواطن أكثر من فكرة أغضاب السماء، إنهم يفعلون أشياء لا يصدقها العقل لإبعاد الأرواح الشريرة، ولو قدر لك

أن تعيشي في بالي لوجدت نفسك تفعلين أشيئا ممنوعة٠"
"مثل ماذا؟"
"ينبغي ألا تنامي وقدماك تتجهان الى الشمال أو الشرق يجب ألا تضربي رأس طفل، وألا توقظي طفلا نائما بسرعة بالغة٠"
وحملقت وهي لاتصدق وقالت:
"لماذا لا توقظ طفلا نائما بسرعة كبيرة؟"
"لأن روحه التي تكون هائمة وهو نائم قد لاتجد الوقت الكافي للعودة الى جسده، وأذا قطعت شجرة جوز الهند ينبغي أولا أن تقبلي الجذع وتتوسلي الى الشجرة كي تغفر لك ما ستفعلينه ويجب ألا تسيري أبدا فوق حبوب الارز التي قد تشاهدينها منثورة داخل باب أحدهم٠٠ إنها قربان مقدس، وبعد أن يتسنى لك الدخول الى البيت من دون أن تثيري غضب الأرواح الشريرة، عليك ألا تضعي ساقيك إحداهما فوق الأخرى بأي شكل من الأشكال، لأنه لو كانت إحدى كعبيك لا تلمس الأرض لتمكنت أرواح شريرة عديدة من الاحاطة بك٠"
وعند هذا الحد كانت وندي قد أصابتها نوبة من الضحك الشديد الذي مالبث أن اصاب رفيقها وقالت:
"فكرت دائما أنني أحب العيش في بالي، لكنني الآن لست متأكدة على الاطلاق أن الحياة ستكون مريحة تماما، هلا أخبرتني بالمزيد؟"
"يمكنني أن استمر الى الأبد، لأن قصة المقدسات في بالي لاتنتهي٠"
"لا بد أن هذا يؤثر على السياحة الى حد كبير بالتأكيد؟"
"فعلا، ولهذا بقيت الجزيرة جذابة للغاية وحالتها باقية على ما هي عليه٠ فمع وجود كل هذه المحرمات الدينية فإن المدنية لا يمكنها أن تدخلها لأن المرء لايمكنه ببساطة، أن يفعل هذا وذاك أنها أرض العادات الغريبة التي تأصلت فيها منذ قديم الزمان بطريقة مبهمة راحت أسسها في طي النسيان ولكن بقيت العادات المرتبطة بها٠"
"إنه شيء ساحر ومخيف في الوقت نفسه٠"
وأكد لها:
"ينبغي ألا يكون ذلك مخيفا، فليس هناك ما يخيفك

بشأن أهالي بالي فهم أناس وادعون وسعداء للغاية رغم عاداتهم الغريبة وطقوسهم الدينية العتيقة٠"
وقال غارث أنه سيصحب وندي الى فندق شاطيء بالي لتناول الغداء وعندما وصلا قابلا العديد من ركاب فايسون وتشكلت منهم مجموعة مرحة ونتيجة لذلك استغرق الغداء مدة أطول من الوقت المتوقع٠
وبقيا لمشاهدة عرض لرقصة الليغونغ، ثم مضيا في طريقهما مرة أخرى، وفي المساء وبعدما تناولا العشاء في فندق شاطيء بالي ذهبا مع مارجي ودينبي الى عرض لرقصة أخرى، يطلق عليها اسم هتجاك ويقال أنها أقوى رقصات بالي، وكانت نوعا من التمثيل الصامت لمجموعة منشدة تلتف حول شعلة متأججة، والمفروض أنها تطرد الأرواح الشريرة:
"يطلق عليها أيضا اسم رقصة القرد٠"
قال غارث ذلك لوندي وهما يتجهان نحو أحدى القرى للانضمام الى أهلها الذين بدأوا بالفعل في التجمع فوق الخضرة بينما الشعلة المتقدة كانت في الوسط تشبه شعلة من النيران، وقالت مارجي بصوت عال كالمعتاد:
"يا ألهي٠ كم راقصا هناك؟"
وقال دينبي الذي كان يجلس بجوارها:
"نحو مائة وخمسين يبدو أنها ستكون رقصة رائعة!"
وبدأ الراقصون يقومون بحركات مفاجئة وينشدون الاناشيد وأجسامهم تتمايل في انسجام كامل، وبين الحين والآخر ترتفع أيديهم نحو السماء، وفي النهاية سقطوا على الأرض وظلوا بلا حراك، فقد انتهى عرضهم٠
وقالت مارجي:
"هذا جميل٠"
واستدارت الى وندي وغارث وهي تبتسم ومضت تقول:
"لابد أنكما أعجبتما بها، أنه شيء ستظل ذكراه قائمة، أليس كذلك أيها الأعزاء؟"
وأبتسم غارث وقال:
"أجل هذا صحيح٠"
ثم أمسك بيد وندي وغادر الأربعة المرج الأخضر في

القرية سيرا نحو السيارة وأضاف غارث:
"سمعت أن هناك قصة حول الرقصة بدأت أتذكرها".
قالت مارجي بلهفة:
"قصة؟ أخبرنا بها إذن،ونحن في طريق عودتنا الى السفينة وأذعن غارث وبينما هو يعود بهم جميعا الى السفينة وبلهجته الهادئة المهذبة، أخبرهم بأسطورة راما ساجا الهندوسية وتقول أن الأمير راما خرج يوما للصيد في الغابة الملكية، وأخذ يطارد حيوانات الأيل ذات القرون الذهبية، عندما زار بيته رافينا ملك الشياطين الذي هرب مع زوجته الأميرة الجميلة سيتا وعندما اكتشف ذلك أطلق عليه سهما تحول الى ثعبان والتف حول راما وجعله أسيرا له، لكن الآلهة هبت لنجدته، وأرسلت الطير الرمزي جارودا الذي جمع جيشا من القردة لم تطلق سراح الأمير فقط ولكنها أنقذت الأميرة أيضا".
وقالت وندي:
"لهذا يسمونها "رقصة القرد" - يمكنني الآن أن أفهم لماذا كانت حركات الراقصين، في الغالب، تقليدا لجيش من القرود".
وقالت مارجي:
"كانت قصة لطيفة تلك التي قلتها لنا يا غارث، شكرا جزيلا لك".
وأجاب بهدوء:
"العفو، انني استمتعت بسردها".
واقتربوا من ميناء السفن، وأمكن رؤية الباخرة البيضاء الضخمة من خلال أشجار النخيل العالية المتشابكة، وكان البحر ساكنا، تسلل اليه ضوء القمر الفضي. فبدا متلألئا فوقه مثل قطع الماس الصافية البيضاء أسفل السماء الاستوائية الرحبة التي تنتشر فيها النجوم.
وتبادل الأربعة تحية المساء، ومضت مارجي وديني في طريقهما بينما اتجه غارث ووندي في طريقهما أيضا الى سطح السفينة الأعلى حيث كانا سيقضيان

كالمعتاد، فترة قصيرة من الزمن معا قبل أن يلقي كل منهما على الآخر تحية المساء.
وفتحت وندي فمها لتشكر غارث لكنه منعها. وتوقعت أن يحملها غارث الى العالم السحري المذهل الذي يمكنه بسهولة أن ينقلها اليه.
لكن، لدهشتها، ابتعد، وبدون سبب أحست بفتور من جانبه. لا، ان الفتور لم يعتره فجأة، بل كان موجودا في أعماقه ويظهر بين الحين والآخر طول الساعات القليلة الماضية، ويتسلل الى الموقف الودي الذي اعتبرته أمرا واقعا. هل ضايقته بشكل او بآخر؟ وباءت محاولاتها لاسترجاع شيء من هذا بالفشل، وقررت أن هذه مجرد حالة من حالات تقلباته سيعبرها في النهاية، وكانت قد قررت بالفعل ألا تدع هذه التغيرات في مزاجه وأسلوبه تؤثر عليها بأية صورة خطيرة، اذ أنها لا تهم حقيقة وهي في حالتها هذه من عدم الشعور الكلي بالأمان، كل يوم، كل ساعة بل حتى كل ثانية، أصبحت لها قيمتها. لا تريد أن تسمح لأي تغير بسيط في أحوال غارث بأن يطغي على هدوء ذهنها.
"ماذا نفعل في الحياة؟ اعني عندما لا تكون في رحلة كهذه"؟
سألت وندي هذا السؤال لمجرد أن يكون هناك شيء تقوله لأن الصمت أصبح ثقيلا وغير مريح الى حد كبير. أجاب بتقطيبة عميقة جعلتها تندم على السؤال:
"لا أعتقد انني اريد التحدث في هذا الموضوع... لا اليوم ولا في الغد...".
ونظر الى أعلى: تغيرت السماء بشكل كبير وأصبح القمر الآن يدور وسط سلسلة من السحب، ومضى يقول بعد قليل من الصمت الثقيل متجاوزا اللحظة الحرجة:
"ربما تمطر، فقد أصبحت السحب تنذر بالسوء".
وكان صوته يتسم بنبرة قاسية. قالت لنفسها:
"حسنا غدا يتخلص مما يكدره".
وقالت وهي ترفع يدها بفتور وتتظاهر بأنها تمنع التثاؤب:
"طابت ليلتك يا غارث، أرجو أن تنام نوما عميقا".
"طابت ليلتك. سنتقابل غدا كالمعتاد في موعد الافطار".
"سنقوم برحلة أخرى خارج السفينة"؟

"بالطبع"٠

وأحست بالارتياح، فقد كسبت يوما آخر في رفقته٠

ورافقها الى حجرتها حيث تركها، ووقفت في فتحة الباب وراقبته وهو يمضي ثم، وكما لو كانت مدفوعة بقوة ما لم تستطع السيطرة عليها، استدارت وعادت الى سطح السفينة حيث وجدت كرسيا في الظل وجلست، وهنا، حيث جلست، كان يسود الهدوء والسلام، واتكأت الى الخلف وتركت العنان لعقلها يفكر مليا في النزهة التي استمتعت بها٠

ولم تستطع أن تعرف كم مضى من الوقت عندما قطع تفكيرها صوت غارث وفريزر وانكمشت في ذعر الى الخلف واستندت الى ظهر المقعد الداكن وظلت ساكنة، وظهر الرجلان ووقفا بجوار الحاجز وكانت قامتاهما في الظل وصوتهما ليس واضحا أيضا، لكن صوت فريزر كان من الأسهل قليلا التقاطه من صوت غارث٠

"٠٠٠ إنها هي الفتاة٠٠ أنا واثق"٠

ورد غارث ردا لم تسمع وندي منه الا كلمة واحدة فقط هي "الشكوك" التي جاءت في آخر العبارة٠

"هذا واضح وإلا لما كنت٠٠٠"

وأخفقت وندي في التقاط باقي العبارة، وألقت نظرة حولها، تبحث عن وسيلة تهرب بها دون أن يلحظها أحد٠ وجدت هذا مستحيلا٠ وبما أنها كانت ترفض أن تكشف عن نفسها أمام غارث، الذي رافقها منذ فترة وجيزة الى غرفتها، فلم يكن لديها أي اختيار إلا البقاء حيث هي حتى يرحل الاثنان٠

"٠٠٠ هذه حماقة يا غارث"٠٠٠

كان هذا صوت فريزر مرة أخرى، وبدت نبرته كما لو كانت تعني أنه يقول كلام تحذير الى صديقه٠

"أعرف أنك على حق ومع ذلك"٠٠٠٠

سمعت وندي هذه الكلمات بوضوح٠ كلمات قالها غارث، وعند ذاك بدأ الرجلان يسيران بعيدا عنها، وشعرت بالارتياح عندما اختفى الرجلان، لأنها أصبحت هي نفسها قادرة على التحرك٠

ورغم أن الأمر لم يكن يتعلق إطلاقا بها فقد غلبها النعاس وهي تتساءل عما كانا يتحدثان٠

٧ - الموت يكشف الحقيقة

كانت وندي وغارث في القاعة القرمزية. هي تتصفح مجلة بينما غارث يقرأ نسخة من صحيفة السفينة. سبحا فترة من الصباح وبعد ذلك رقدا تحت أشعة الشمس لمدة ساعتين، وعندما انتهى الغداء اتجها لمشاهدة أحد الأفلام، لكنهما أحسا بأنهما غير مهتمين به بما يكفي للبقاء حتى نهاية العرض فخرجا واتجها نحو تلك القاعة، حيث توقعا مقابلة مارجي ودينبي اللذين ذكرا أنهما سيقضيان ساعة او اثنتين في مطالعة الصحف.

وضعت وندي مجلتها جانباً، وراقبت غارث من طرفه ولاحظت الملامح الأرستقراطية الصارمة، والتجاعيد الحادة لعنقه وفكه، وسمة العناد التي ترتسم على الفم، وقد استقر رأسه بنبل فوق كتفين عريضتين مستقيمتين أما شعره الداكن فبدأت بعض شعيرات بيضاء قليلة تظهر فيه عند الوجنتين.

وعندما شعر بتفحصها الدقيق له أدار رأسه والتقت عيناه بعينيها لحظة طويلة قبل أن تخفض رموشها وتخفي تعبيرها عنه حيث اندفعت دماء الخجل الى وجنتيها.

التقطت مجلتها، وسمعته يقلب صفحة، ثم ساد الصمت بضع دقائق قبل أن يقلب صفحة أخرى، واستمرت في تقليب الصفحات، تتوقف كل حين وآخر عندما تجد شيئا يهمها. وهي لا تكاد تعي الأنغام الناعمة لموسيقى "هاندل" تملأ القاعة من المكبرات المعلقة في الأركان، وفجأة توقفت الموسيقى

وسمع المذيع وهو يقدم أهم الأخبار:

"في حادث تحطم طائرة صباح اليوم كانت ممثلة السينما لينيز مافارو من بين تسعة وثمانين شخصا لقوا حتفهم".

وتنبهت وندي الى نظرة الفزع التي بدت على غارث وألقت عليه نظرة جانبية، والتفت هو في هذا الوقت اليها، والتقت عيناهما، ولم تحاول أن تقرأ تعبير وجهه الذي أصبح غريبا للغاية وأدارت رأسها وهي تشعر بعدم الارتياح بتاتا من تلك النظرة الثابتة غير المبتسمة. وفكرت: اذن فريزر كان مخطئا في اعتقاده أن لينيز مافارو على ظهر الباخرة، تقوم بالرحلة وهي متنكرة. وأضاف المذيع أنها خسارة كبيرة للأفلام البريطانية، ثم انتقل الى الحديث عن شيء آخر، ولم تهتم وندي حينئذ بأن تنصت، اذ كان اهتمامها كله مركزا على غارث الذي بدا أنه تحت تأثير انفعالات متضاربة، وعجبت لذلك لأنه قال أنه لم ير حتى واحدا من أفلام هذه النجمة.

وابتلع شيئا يبدو أنه كان يسد حلقه وأطبق يده التي كان يضعها فوق المائدة فجأة مما يدل على أنه تأثر بعمق بالأنباء التي أذيعت بالراديو للتو: واضطرت أن تقول:

"أهناك شيء ما"؟

قالت هذا كما لو كانت تريد فقط أن تضع حدا لتلك النظرة الثابتة المتسمة بشيء من الندم، والتي كان يحدجها بها، ولم يرد وقررت أن تقول:

"لينيز مافارو هذه... في يوم إبحار السفينة سمعتكما - عفوا - أنت وفريزر تتحدثان عنها"..

وقاطعها بحدة..

"حقا؟ ماذا سمعت"؟

"قال فريزر إنه يعتقد أنها ضمن ركاب السفينة متنكرة كفتاة سمراء":

وتحركت عضلة في حلق غارث:

"ألا تعرفين كيف تبدو لينيز مافارو"؟

"كلا، لم أشاهد إطلاقا أيا من أفلامها".

"ألم تري صورها أيضا"؟

وارتبكت في حيرة، ومدت يديها بدون تفكير وهي تقول:

"إنني لا أفهمك يا غارث، لماذا تسألني هذه الأسئلة"؟

وتردد، ثم هز رأسه وبدا كما لو كان يبحث عن الكلمات المناسبة التي يستخدمها، واستغرق في ذلك وقتا طويلا الى حد أنها قررت أن ترد على سؤاله الأخير؟

"أظن أنني رأيت صورة لها في وقت ما".

وبدا كما لو كانت تلك هي البداية التي يبحث عنها لأنه تحدث الآن، وسألها ما اذا لم تكن لاحظت الشبه بينها وبين النجمة وكانت قبلة مدوية أسكتتها، ووجدت نفسها مذهولة.

ولمست شعرها بانبهار وقالت:

"هل تشبهني؟ واعتقدت أنها أنا ... أعني هل كنت تشك في أنني لينيز مافارو"؟

وكانت لا تزال مبهورة للغاية وغير قادرة على التصديق أن أي شخص يمكن أن يخطىء بينها وبين لينيز مافارو الفاتنة ذات الجمال الخارق، عندما قال:

"وندي... اقترفت غلطة لا تغتفر في حقك، كنت أظن أنك لينيز مافارو. وهي امرأة لا أكن لها ذرة من الاحترام".

وسادت فترة صمت أخرى طويلة وثقيلة، وكان كل ما استطاعت قوله:

"هكذا يتضح الكثير".

وأومأ برأسه مرة أخرى وأضافت:

"ومع ذلك. فاذا لم يكن باستطاعتك احترامي، أي احترامها".

وتلعثمت وتوقفت عن الكلام ثم بدأت تتكلم مرة أخرى قائلة: "إنه، منطقيا، اذا كان شعور غارث وفريزر هكذا إزاء الأمر، فلماذا أنشأ هذا العلاقة الودية بينه وبينها"؟

"أعتقد أنه كان ينبغي لك الابتعاد عني من البداية".

وحينذاك تأرجحت ابتسامة غريبة صغيرة على ركني فمه ورد ردا ملتويا:

"يبدو أنك نسيت أنك رفيقتي على المائدة".

"أجل... نسيت... لا... كيف يمكن أن أنسى"؟

"عزيزتي... انت مضطربة للغاية، وهي غلطتي. ما كنت أحاول قوله هو أنني ينبغي لي أن أكون بالقرب منك مرتين على الأقل يوميا. وفي كل مرة أكثر من ساعة. لذلك لم يكن باستطاعتي أن أباعد بيننا كما أوصيت".

"لو كنت كما تقول لا تحترم تلك الفتاة، كيف يمكنك أن تقضي كل هذا الوقت معها، أعني معي"؟

وفجأة بدا الموضوع كله فكها لدرجة أنها وجدت نفسها على وشك الضحك وأضافت:

"يا له من موقف معقد! والآن اذ أنظر الى جميع جوانب المسألة أشعر بأنه كان ينبغي أن افطن منذ فترة طويلة ما يجري. لأن فريزر - أيضا - كان يتصرف معي بطريقة غريبة".

ومد يديه عبر المائدة ووضعت يديها بينهما في سعادة، ثم قال:

"عزيزتي، لا بد أنك كنت شديدة الحيرة، رأيت ذلك مرات في عينيك الجميلتين لدرجة أنه كان ينبغي لي أنا أن أعرف بالخطأ. لكن لم يكن لدي دليل؟ لقد اعتمدت على كلام فريزر وهو ما لا يغتفر على الاطلاق".

وقالت مازحة:

"في إحدى المناسبات قلت شيئا فهمت منه أنك تخلط بيني وبين شخصية أخرى".

"ربما كان ذلك عندما اتهمتك بأنك ممثلة قديرة".

وتوقف عن الكلام وهو يهز رأسه وينظر اليها بتعبير الندم العميق ثم قال:

"أيمكن أن تغفري لي الطريقة التي كنت أعاملك بها"؟

"بل كنت مدهشا معي يا غارث".

قالت له ذلك بصدق وكانت تود باخلاص أن تضيف: "يوما ما... ربما قريبا جدا، ستعرف ما فعلته من أجلي، آمل أن تشعر بالرضى لأنك فعلت الكثير لفتاة في حاجة ماسة الى عطفك"، لكنها أحجمت اذ لم تكن ترغب بوضع نفسها في موقف حرج لأن الأمر لا يعدو أن يكون بالنسبة اليه، في النهاية، مجرد مغازلة لطيفة جدا.

وقال بوجه مضطرب:

"مدهش؟ لا ياعزيزتي، بل كنت فظاً وليس لي عذر على الاطلاق والجميل أنك لم تطلبي مني أن ألقي بنفسي الى الجحيم".

وقطعت كلامه قائلة:

"لم أكن لأفعل ذلك على الاطلاق، كنت سعيدة جداً برفقتك".

ولكنها لم تفه بما كان في بالها وأن الفتاة لا تطلب من الرجل الذي تحبه أن يلقي بنفسه الى الجحيم لأنه صدق كلماتها.

وأحست بأن الفكرة هزلية لذلك تراقصت ضحكة في عينيها فجأة، وأصبح اهتمامه كله مركزا عليها وتساءلت ما اذا كان ذلك مجرد خيال أم أنها سمعته يحبس أنفاسه؟ ولما لم يتكلم مضت تقول:

"فهمت الآن لماذا كنت تعتقد أنني أكبر سنا، كذلك لماذا دهشت للغاية عندما قلت إنني يمكنني الحياكة. وأعرف أي سؤال كنت ستطرحه علي فهو ما اذا كنت لينيز مافارو، أليس كذلك"؟

"أجل، كنت سأفعل".

"عندما سمعتكما مصادفة تتحدثان أنت وفريزر في ذلك اليوم الأول، كان يقول إن لينيز مافارو من عادتها أن تخرج وحدها وتتظاهر بأنها فتاة بريئة صغيرة".

وتوقفت وندي ورفعت يدها الى فمها بينما أضاءت عينا غارث بالفرح لأول مرة لأنها كانت تبدو مضحكة.

"أجل ياعزيزتي، انك نموذج للفتاة البريئة الصغيرة، وأرجوك ألا تحاولي تغيير نفسك إطلاقا".

واحمر وجهها خجلا، ولم تجد كلمات تقولها وهي في قمة ارتباكها، لكنها، أخيرا، قالت:

"في هذه الحالة، لا بد أنني أطابق الصورة تماما"؟

وتجهم وقال في لهجة سريعة:

"كان ينبغي أن أعرف، لا بد أنني كنت أعمى"!

"لا تزعج نفسك بهذه المسألة، فهي ليست هامة على الاطلاق الآن".

"يكون الأمر هاماً عندما يؤذي شخصا ما، انني أطلب غفرانك يا وندي".

"لكنني أغفر لك بالطبع".

ونظر اليها، وكان في عينيه شيء لم تستطع أن تسبر غوره، رغم أنها بذلت كل ما في وسعها في سبيل ذلك، وأخيرا قال لها:

"إنك شيء خاص جدا، لست فقط تتمتعين بجمال الجسم، لكن لك شخصية جميلة جدا أيضا".

وهزت رأسها ورفعت يدها احتجاجا. لكنها أنزلتها مرة أخرى وقالت:

"أرجوك ألا تتمادى! فكر في خجلي... وتواضعي..."

"آسف ياعزيزتي، لن أفعل".

وتوقف عن الكلام ونظر هو ووندي الى اعلى حيث كان فريزر قادما نحوهما وقد ظهر القلق على وجهه الذي لوحته الشمس وأخذ ينقل نظراته بينهما، وقال غارث من دون أن يعطيه فرصة للكلام:

"أجل، سمعت بنبأ مصرع لينيز مافارو في حادث تحطم الطائرة".

وألقى نظرة سريعة تعبر عن الشعور بالذنب نحو وندي ثم قال:

"آسف للغاية يا غارث، كنت أعتقد، حقيقة، أن معلوماتي صحيحة".

وقاطعته وندي بابتسامة:

"لا تقلق على شيء يا فريزر، غارث وأنا كنا نناقش هذا التو".

وطرف فريزر بعينيه ثم حدق فيها وهو غير مصدق وقال:

"إذن لم تتشاجرا بشأن ذلك"؟

"ليس هناك سبب يجعلنا نتشاجر، كانت غلطة مفهومة من جانب غارث..."

وقاطعها بتلك اللهجة المتعجرفة التي تعرفها جيدا:

"لقد كان شيئا رديئا! لا تمضي في خلق الأعذار لي يا وندي".

ومنحته واحدة من أحلى ابتساماتها وهي تقول:

"ألا يمكننا أن ننسى الموضوع؟ كل منا يستمتع برفقة

الآخر. وهذا كل ما يهم بالتأكيد".

وأومأ برأسه وغمغم تعبيرا عن الموافقة، لكنهما واصلا حديثهما، غير أن وندي حينما تركته وأصبحت في غرفتها تتمتع بقسط من الراحة والهدوء قبل العشاء، تذكرت شيئا قيل في البداية ولم يناقش مرة أخرى بعد ذلك، وهو: ما السبب في أنه - وهو يعتقد أنها من ذلك النوع من النساء الذي لا يمكنه احترامه - لم يبتعد عنها منذ البداية، وقد أشارت هي لذلك فذكرها بأنها رفيقته على المائدة.

وتاهت وسط أفكارها فترة طويلة... لماذا اهتم بها؟ وتذكرت انطباعاتها، ففي أكثر من مناسبة شعرت أنه ممزق بين دافعين، فمن جانب يريد أن يحبها، ومن جانب آخر لا وقت لديه يخصصه لها، هذا هو السبب في أنه عاملها بمثل هذا الازدراء - أحيانا - بينما في أحيان أخرى كان رقيقا ومهتما للغاية بها.

كان يناضل ضد ماذا؟ شيء ما تقلص بداخلها ووجدت نفسها ترتعش. ينبغي ألا يقع في حبها. وهمست في لهجة إلحاح: "عزيزي غارث... لا تحبني... أرجوك... لا تفعل... فانني لا أستطيع أن أتحمل فكرة إصابتك بألم"

* * *

طول اليومين التاليين كانت وندي مترقبة لأية إشارة تدل على أنه وقع في حبها، لكنها لم تلمس شيئا من هذا، وعندما حان موعد رسو السفينة في هونغ كونغ استعاد ذهنها صفاءه تماما. يبدو الآن أنها تتمتع بأفضل الأوضاع: سعادة حبها له، والموقف اللطيف الجديد الذي يتخذه إزاءها منذ اكتشاف غلطته، وراودها الأمل في أن يبقى من حياتها شهر آخر على الأقل كي تتمتع به - لكن داهمها ألم قاتل في رأسها مرتين خلال أربعة أيام، واضطرت الى البقاء في غرفتها، وكان تفسيرها، أنها مرهقة وترغب في الراحة، مقبولا لدى غارث بلا مناقشة.

وكانت هونغ كونغ من بين المعالم البارزة في الرحلة -

فيما يتعلق بوندي - ومرة أخرى أبدت تشوقها لزيارتها قبل فترة طويلة من يوم وصول الباخرة اليها. وكما هو الحال دائما كانت وندي وغارث من بين أول الركاب الذين غادروا السفينة عندما وصلت الى الجزيرة في الثامنة من ذلك الصباح، وقررا أن يقوما بجولة في الباص الصباح التالي، لكنهما صمما أن يكتشفا الجزيرة بنفسيهما في اليوم الأول، وأذعن غارث لطلب وندي بأن يقوما بجولة في قارب بخاري حول الميناء الجميل.

ولما حانت الساعة التاسعة كانا يقومان برحلتهما البحرية بين الجزر الصغيرة ويخترقان سلسلة السفن الضخمة والقوارب البخارية والزوارق الصغيرة التي تعرف باسم "السامبان".

وشاهدا مجموعة هائلة من الناس يقيمون في ملجأ "يا أوماتي" للحماية من الأعاصير حيث أقيمت لهم مدرسة ومستشفى وكنيسة فوق زوارق "السامبان" الصغيرة. وتناولا الغداء في أحد المطاعم العائمة الضخمة المزينة بزينات مفرحة، وقضيا فترة بعد الظهر في التجول بين المحلات التجارية حيث أخذت وندي تبحث عن هدية تشتريها لغارث. فاكتشفت، لفرحتها الكبرى، مسندين منقوشين رائعين من مساند الكتب، وكانت الهدية غالية وشعرت بالارتياح عندما ابتعد عنها غارث لمشاهدة شيء في الطرف الآخر من المحل التجاري حيث ظل فترة طويلة تكفي لتدفع قيمة مشترياتها دون أن يكون لديه أية فكرة عن ثمنها.

وأعطتهما اليه فور عودتهما الى السفينة وهما على وشك الافتراق ليذهب كل منهما الى غرفته فيغتسل ثم يغير ملابسه استعدادا للعشاء، وعندما حل موعد العشاء كانا أول من يشغل المائدة، وحينئذ شكرها على هديتها قائلا:

"إنني فرح بها، وسأحتفظ بها دائما".

وكانت تلك هي الكلمات التي أرادت سماعها، وشعرت براحة كبيرة فسيكون لديه شيء يذكره بها. وكان ينظر اليها عبر المائدة وفي عينيه احترام كبير، وهي ترتدي ثوبا بسيطا، الحلية الوحيدة التي تتزين بها قرط طويل من

الذهب المطعم بالماس اشترته ذات مرة من أحد محلات التحف الصغيرة في المدينة حيث كانت تعمل. أما شعرها، الذي صففته في الليلة السابقة في صالون تصفيف الشعر في السفينة، فكان يلمع ببريق دافىء تحت أضواء الشموع وسط المائدة وكان وجهها، الذي زادته فرحة اليوم مع غارث حيوية وسعادة متلألئا بالصحة.

وهمس غارث وهما مازالا وحدهما.

"وندي... إنك فاتنة للغاية. ينبغي أن تحدثيني عن نفسك ياعزيزتي، أريد أن أعرف كل شيء عنك".

وأسدلت رموشها وشعرت بالارتياح لظهور مارجي وفريزر اللذين تقابلا في البار وغادراه معا للمجيء الى العشاء.

تحدثه عن نفسها؟ فكرت وندي وأدركت الآن فقط الى أي مدى لا يعرف كل منهما الآخر الا النذر اليسير. لكن هذا ليس بغريب لأن نوع علاقتهما - الصداقة التي تقوم فوق السفن - ليست من النوع الحميم الذي يتمتع به الذين تتقدم بهم الصداقة الى اتجاهات أعمق، لا شك أنها ستخبره بشيء عن نفسها، لكن الى أي مدى، هو؟ هل سيحدثها عن نفسه؟ ولأنه يبدي تفوقا وعجرفة متأصلين وجدت أنه من الرجال المتحفظين فيما يتعلق بشؤونهم وحياتهم وعملهم. وماذا يحبون وماذا يكرهون. وتصورت أنه سيعتبر هذه الأمور غير ذات أهمية لأي شخص إلا نفسه، ونتيجة لذلك فانه سيحتفظ بذلك المظهر المهيب الذي يصد كل من يصور له فضوله أنه سيحصل منه على المزيد. ومن الأمثلة على هؤلاء مارجي التي خمنت وندي أنها تنظر الى غارث بمهابة لم تغامر معها حتى بتوجيه سؤال واحد اليه فيما يتعلق بحياته الخاصة، على العكس من فريزر الذي سألته كل سؤال من الممكن توجيهه. لكن الى متى يمكنها ان تتردد في سؤاله عن مهنته الحقيقية وسر وجوده على السفينة؟

وبينما كانت مارجي تتخذ مكانها وهي تتنقل

نظراتها بدهاء بين غارث ووندي سألت:

"حسنا ياعزيزتي، هل قضيتما يوما رائعا؟ أجل فعلتما، وهكذا فعلنا! والآن انظرا"!

ورفعت يدها اليسرى حيث وضعت في أصبعها خاتما ذا فص من الماس يخطف الأبصار، وقالت وندي وغارث معاً:

"تهانينا يا مارجي".

وكان فريزر قد سبق وهنأ كلا من مارجي ودينبي عندما كان في البار معهما، وتنهدت وندي وهي تلمس الخاتم بأصبعها:

"جميل... جميل جداً في الواقع".

"لقد تمت خطوبتنا في معبد صيني، ياله من اختلاف كبير"؟

"معبد صيني"؟

"اشترى دينبي الخاتم، ثم بدأ يبحث عن مكان هادىء يمكنه تقديمه الي فيه، وبما أنني لست مراهقة حالمة ترغب في لبس الخاتم وسط رفقة صاخبة فقد اقترحت أن نسرع الى المعبد حيث يمكنه أن يلبسني إياه".

وقد أثار هذا الضحك، وأصر غارث على الاحتفاء بالمناسبة السعيدة وتساءل اذا كان ممكناً أن ينضم دينبي الى مائدتهم لتناول العشاء، ثم أحضر المضيف مقعدا إضافيا بعد استئذان كبير المضيفين بينما نهض غارث وذهب يبحث عن دينبي، وبعد ذلك احتفلوا بالخطبة واشترك جميع الموجودين على الموائد المجاورة في المرح معهم.

وبعد بضع ساعات قالت وندي، وهي ترقص مع غارث وكانا قريبين جدا:

"كان هذا اليوم واحداً من أسعد أيام عديدة سعيدة، نعم عشت الأسابيع القليلة الماضية! عشتها حقيقة وبصدق"!

ابعدها عنه ورأت أن تقطيبة خفيفة ظهرت على حاجبه وقال:

"أليس هناك شيء غريب في لهجتك عندما تقولين ذلك يا وندي"؟

سؤال لامت نفسها عليه بسبب علامة التعجب التي

أثارتها بلا تفكير، وردت بخفة:
"لم أكن أقصد ما قلت"
وسأل بحدة:
"هل أنت مراوغة غامضة"؟
"لا ... بالطبع".
وفكرت أنهما يبدوان متزوجين، وهما يتحدثان بهذا الشكل. إنه ما زال ينظر اليها بصرامة، وعيناه تطوفان وجهها بتعبير حائر في أغوارها الداكنة النفاذة، واضطرت، عندما لم تجد شيئا آخر تقوله، أن تمضي في حديثها:
"لماذا أكون مراوغة غامضة"؟
"هذا شيء لا يمكنني الرد عليه. انك مراوغة فأنت وحدك التي تعرفين لماذا".
وتجعد في تقطيبة، وبدا كما لو كان مستغرقا في التفكير فجأة. وارتبكت من غبائها، وتذكرت انه مرتين خلال معرفتها به داهمها الألم. وفي المرتين أدت ملاحظته السريعة الى سؤالها، بطريقة آمرة تشبه طريقة رجال الأعمال، عما بها. كأنه أحس بما يزعجها، ووضعها تحت فحص طبي دقيق رغم أنها أكدت له، بلا تردد، ألا شيء هناك وأنها لم تعرف حتى أنها انتفضت.
وبالطبع كان هذا كذبا من جانبها لسبب بسيط هو أنها مصممة على ألا يعرف أحد أنها ستموت... وكما أخبرت نفسها في أول الأمر أن مارجي سيدة تؤتمن، رغم ظاهرها الطائش، فان اليوم قد يأتي عندما تضطر الى الافصاح لها بسرها، لكن ذلك اليوم يجب أن يكون قرب النهاية جدا، لأن وندي لا تنوي وليست لديها حاجة الى الافصاح بالسر لأحد في الوقت الحالي. كان غارث هو كل حياتها وكانت سعيدة، ونتيجة لذلك كانت متحررة من ذلك الشعور الكئيب الذي علمت، منذ لحظة معرفتها بمصيرها، أنه لا بد أن يخالجها قرب النهاية. وعادت نبرته الهادئة الناعمة تخترق أفكارها:
"وندي... فيم تفكرين"؟
ونظرت الى أعلى ومنحته احدى ابتساماتها الجميلة

ثم ردت:
"هناك أوقات يا غارث لا ينبغي للرجل أن يطلب معرفة ما تفكر فيه المرأة".
اتسمت لهجتها بنبرة إغاظة، وقد ومض بريق البهجة في عينيها البنفسجيتين الواسعتين، وتأرجحت عيناه فوق وجهها لكنها رأت من تغير تعبيره أنه يستجيب لحالتها، مما أشعرها بالارتياح، وقال ضاحكا:
"حسنا. كما تشاءين"
ثم دار بها بخفة ووجدت نفسها مدفوعة برفق نحو الباب. وكان التفسير الذي قدمه لتصرفه هو:
"لو أصررت على النظر الي هكذا لما كان لك إلا أن تلومي نفسك يا عزيزتي"!

٨ - يحبها ٠٠٠ لا يحبها

ونقلهم الباص في جولة تضمنت زيارة قمة فيكتوريا حيث شاهدوا منظرا رائعا للجزيرة، ثم جولة مثيرة في شوارع كادلون التجارية المزدحمة وانتهت بأنزالهم في خليج ريبالس حيث اتخذ كل راكب طريقه المستقل٠ وقرر غارث ووندي أن يتناولا الغداء، مرة أخرى، في أحد المطاعم العائمة وبعد ذلك اجتذبتهما المحلات التجارية واشترى غارث هدايا تذكارية بديعة وسألها وهو يلقي عليها نظرة حائرة:

"الا تشترين أى شيء؟"

فهزت رأسها بالنفي٠ وبعد ظهر اليوم نفسه قال لها:

"نبهتك الى انني أريد أن أعرف المزيد عنك٠"

قال ذلك حين جلسا في أحد المقاهي يشربان الليموناضة المثلجة اللذيذة بعد جولة مرهقة في المدينة، وأضاف:

"الا تحدثينني عن أقاربك؟"

وكان هذا السؤال طبيعيا لأنها لم تشتر أية هدايا تذكارية، وكانت تعلم أنه سيسأل في النهاية فلم تحصل على هدية واحدة تحملها الى الوطن منذ بداية الرحلة البحرية لكن لماذا يحجب عنها هو أيضا طبيعة عمله وسبب قيامه بهذه الرحلة٠٠ قالت:

"ليس لي أقارب٠"

ورأت تقطيبة مفاجئة على حاجبيه وسأل:

"على الإطلاق؟"

"لي نسيب على درجة بعيدة من القرابة على ما أعتقد٠"

"وأبواك؟"

أخبرته بشأنهما، ولاحظت اهتزازة خفيفة لرأسه، ولمحة عطف وأضافت:"كنت أود أن يكون لي أخوة وأخوات٠٠ هل لديك أنت؟"

"لي أختان وأخ واحد٠ أبواي أيضا على قيد الحياة وفي صحة جيدة يسعدني أن أقول ذلك٠"

والتقط كأسه وأخذ رشفة ثم واصل كلامه:

"أختي الكبرى فيكي، متزوجة ولها طفلان جميلان، وأختي الصغرى خطبت أخيرا وتعمل ممرضة وستتزوج طبيبا٠"

"وأخوك؟"

غامرت بهذا السؤال وهي تتساءل إذا كان ذلك الحديث سيلقي الضوء على مهنة غارث٠

"إنه في التاسعة عشرة فقط، ومازال يدرس في الجامعة٠"

ومن دون أن تدرك نبرة اللهفة الي تسللت الى صوتها قالت:

"يبدون جميعا عظماء٠ انه نوع الأسرة الذي كنت أود أن أنتمي اليها٠"

وابتسم ابتسامة ماكرة ورد قائلا:

"كانت هناك مشاحنات لأسباب تافهة ونحن صغار، وخاصة بين فيكي وبيني، فهناك فارق عام واحد بيننا٠"

ورمق وندي من فوق حافة كأسه لحظة طويلة قبل أن يسأل:

"تعيشين وحدك إذن؟"

"كنت٠٠٠"

وتوقفت وهي تفكر مليا عندما أدركت بصدمة بسيطة ماكانت على وشك أن تكشفه عن أنها باعت البيت والاثاث قبل أن تبدأ الرحلة البحرية٠

"كنت؟"

سألها بنعومة بينما كانت نظرته المركزة مازالت تدقق في وجهها٠ وأردف:

"ومع من تعيشين الآن؟"

وافتعلت ابتسامة مشوشة وردت قائلة:

"ما قصدت قوله أنني كنت أعيش وحدي حتى اشتركت في هذا الرحلة٠"

"فهمت."

هل لاحظ لحظة اضطرابها؟ أعتقدت أنه لم يلحظها مما أراحها وسأل:

"هل تسكنين شقة؟"

"والدتي تركت لي منزلا."

وحبست أنفاسها واثقة أنه سيوجه مزيدا من الأسئلة لكن في تلك اللحظة سمعا مارجي وخطيبها اللذين جلسا على المقعدين الخاليين المصنوعين من الخيزران.

وقالت مارجي:

"اف.. الجو حار! دينبي، أحضر لي شرابا أرجوك."

وكانت مارجي ودينبي محملين بالاغراض الثقيلة، فوضعاها على الأرض الى جوار كرسيهما.

وجاء المضيف الصيني في الحال ثم ذهب لطلب المشروبات، وقال دينبي الذي كان وجهه الممتلىء محمرا ومبللا بالعرق:

"ماذا فعلتما خلال النهار؟"

وما لبث أن أضاف سائلا وندي:

"عجيبا: كيف استطعت أن تحافظي على هذا المظهر المسترخي الجميل يا عزيزتي؟"

وضحكت وأكدت له أنها، رغم ما يبدو عليها من مظاهر الاسترخاء فهي في الواقع تشعر بالحرارة الى درجة كبيرة، وقال غارث ردا على سؤال دينبي:

"كنا نقوم بجولة في أحدى سيارات الباص وأنتما ماذا كنتما تفعلان؟"

وحدج مارجي بنظرة وهو يقول:

"نتسوق، واذا استمر التسوق هكذا سنحتاج الى شراء نصف دستة أخرى من حقائب الملابس لنضع فيها كل شيء! تذكروا أنه مازالت أمامنا زيارات لليابان وهاواي وكاليفورنيا.."

وسحب منديلا من جيبه ثم بدأ يجفف جبهته، وأكملت مارجي بضحكة شيطانية:

".. والمكسيك وبالباو وقرطاجة، ثم نعود الى ميناء ايفرغليدز ثم نيويورك وشيربورغ وساوثهامبتن."

"وحينذاك ستكون السفينة مضطرة الى القاء بعض ثقلها في البحر."

وضحك الجميع، واعترفت مارجي بأن بعض الاشياء التي اشترتها سينتهي بها الامر الى أن تصبح عديمة الجدوى."

لقد أنقذ تدخل مارجي وديتبي وندي من اسئلة غارث في الوقت الحالي، لكنها كانت تعلم أنه ينوي معرفة المزيد عنها. هل يمكنها أن تظل متنبهة لاسئلته من دون أن تزجره، وهو أمر لاتفكر فيه على أية حال. يمكنها فقط أن تأمل لو ان المعلومات التي سردتها بالفعل كافية لإرضائه... إنها أولا وقبل كل شيء، لا تعني شيئا بالنسبة اليه، لذلك فليس من الملائم أن يتابع اهتمامه لمعرفة أكثر مما عرف بالفعل.

وبقيت مارجي ودنبي معهما بقية اليوم، وعادوا جميعا الى الباخرة لتناول العشاء. لكن في الأمسية التالية انضمت وندي وغارث الى فريزر وصديقته لتناول العشاء، الذي قدم على الطريقة الصينية فوق زورق بخاري طاف بهم في جولة بهيجة حول ميناء هونغ كونغ الساحر. وكانت الأنوار تتلألأ من المباني وعلى طول الساحل ومن السفن ومن الزوارق الصغيرة والزوارق البخارية وغيرها من السفن التي يعيش فوقها الآف الصينين وينامون. أنه الشرق الساحر البهيج المتلألىء المذهل.

وفي اليوم الرابع استقلوا الأوتوبيس المائي الذي نقلهم من الميناء الى عرض البحر، لأنهم قرروا أن يقوموا بالرحلة التي تستغرق النهار كله في ما كاد ودلتا سي كيانغ حيث علم غارث أنها مكان شهير يرتبط بأشياء مثل تهريب المخدرات وكازينوهات القمار وبعد الغداء اتجهوا الى المعبد الصيني وعادوا الى السفينة قبيل الثامنة وبعد ثلاث ساعات كانوا فوق سطح الباخرة البيضاء الضخمة في طريقها الى اليابان حيث كانت ستصل بعد يومين ونصف. عند ذلك يكون انقضى شهران على ابحار الباخرة، ولا يبقى الا نحو شهر واحد قبل أن تنتهي الرحلة هل سترى نهاية الرحلة؟ تساءلت وندي. لقد استعدت، بالطبع، لمثل هذا الحدث رغم أنها لم تكن تتوقع، حقا، أن ترى أبدا سواحل وطنها مرة أخرى. عندما

وقفت، في ذلك اليوم من يناير / كانون الثاني، فوق سطح السفينة، تماما كما تفعل الآن، مع جموع الناس حولها، وشاهدت ميناء السفن في ساوثهامبتن وهو يتضاءل عن بعد حسنا، لو عادت لن تكون لديها مشكلات لأن الدكتور هويتيكر سهل لها كل شيء.

وأبعدت تلك الافكار عمدا، وهي مصممة على ألا تسمح لها بأن تتسلل الى ذهنها مرة أخرى، أذ لافائدة من التفكير في مصيرها، سواء كان الموت سيأتيها وهي فوق سطح السفينة أم في انكلترا.

وسرعان ما اتضح أن غارث فضولي بشأنها، فقد أظهر اهتماما أكثر بها مما يبعث على الراحة، وسأل أسئلة أرغمتها على التهرب من الرد والنتيجة أنه أصبح حائرا إزاء افتقارها الى الصراحة، وفي بعض المناسبات كان الفتور يسود بينهما، لكنه سرعان ما كان يمر ويصبح عالم وندي كله ورديا من جديد.

وفي أحد الايام، بينما كانت وندي ومارجي تنتظران جنبا الى جنب في صالون تصفيف الشعر، بادرت مارجي بالكلام فقالت:

"أنا متأكدة يا عزيزتي أن غارث يحبك، وأذا لم يطلب منك قريبا جدا الزواج به فلن يكون اسمي مارجي ستروميرغ".

وردت وندي:

"أنه لا يحبني. أخبرتك من قبل بما قاله فريزر عن أن غارث أعزب بالسليقة".

وبطريقتها المعتادة التي لاتنم عن الاهتمام قالت مارجي:

"لا يبدو عليه القلق من أنه قد لا يحبك اطلاقا - ربما لا تهتمين به كما أتصورك؟"

ماذا تقول ردا على ذلك؟ لم تستطع وندي أن تنفي أنها تحب غارث كما انها لا تقدر على العكس وتوصلت الى حل وسط بقولها:

"إن الاعجاب بشخص لا يعني حبه، أعترف بأنني معجبة جدا بغارث لكن أن أكون مجنونة بحبه..."

وهزت كتفيها بلامبالاة كما لو كانت تريد أن تعطي

تأثيرا مضاعفا لكلماتها. وقالت مارجي إن هذا أمر مؤسف، أنها أصيبت بخيبة أمل شديدة لأنه لن تكون هناك خطبة بين الاثنين وهما في السفينة.

وفي الموانئ التي زارتها السفينة كانا معا طول الوقت، وكان هناك قدر كبير مثير من مشاهدة المناظر الطبيعية. وعندما رست السفينة في كوبي صعدا الى جبل روكو لألقاء نظرة على المدينة من فوق، وشاهدا المعابد وتماثيل بوذا والاماكن المقدسة والمعالم البارزة الأخرى، وفي يوكوهاما حضرا حفل عشاء يطلق عليه اسم سوكياكي، حيث قامت فتيات الفرقة الراقصة الغيشا بتسلية الجمهور وهن يرتدين رداء الكيمونو الملون وقدمن عرضا رقيقا بمراوحهن الصلبة ذات الألوان البراقة.

طول الوقت لم يفترقا، ومع ذلك لم تلمس وندي أن غارث ينظر اليها على أنها أكثر من رفيقة لطيفة يستمتع معها بالمباهج التي توفرها الرحلة البحرية، وبعد تلك المعلومات فيما يتعلق بأسرتها لم يذكر إطلاقا أي شيء عن حياتها الخاصة، وخيل اليها أن هذا يرجع الى تحفظها فيما يتعلق بشؤونها الخاصة، مع ذلك كان فضوليا، أحست بفضوله فيما يتعلق بوجودها في الرحلة، لكنه لم يسألها عن ذلك، وهكذا مرت الايام سريعة للغاية.

والآن لم يعد باقيا إلا اسبوعان.

"إنني أتطلع بشوق لمشاهدة هونولولو".

أخبرته بذلك في اليوم السابق لوصول السفينة الى الميناء، كانت تخشى ألا تبقى على قيد الحياة حتى تراها، لأن نوبات الصداع أصبحت أقسى وأكثر حدوثا، واكتشفت أن الحبوب التي معها لم تعد مؤثرة الآن كما كانت في البداية وسلمت بأن النهاية ستأتي في أي وقت.

"كذلك أنا".

قال غارث، والتقت عيناها بعينيه، كم كانت نبرة صوته غريبة وغامضة.

"أجل يا عزيزتي وندي، إنني أتطلع بترقب شديد الى تلك الزيارة سأصطحبك الى هاواي".

"الى-؟ لكنني لم أحجز تذكرة يا غارث، أعتقد أنني ذكرت هذا لك"

"بل حجزت."

وابتسم لها وتحول قلبها الى بهلوان يقفز، فكم ستكون حياتها مدهشة لو أمكن لها أن تصبح زوجته.

وحملقت فيه، ثم احمر وجهها خجلا لأنه دفع كل هذه الأموال من أجلها.

"هل حجزت للرحلة الجوية؟"

وأومأ بالإيجاب، وكان وجهه خاليا من أي تعبير، وأحست بأنه يخطط لشيء وسألت:

"لماذا تفعل هذا؟"

ورفع حاجبيه قليلا وهو يقول:

"لماذا؟"

وتوقفت لحظة:

"يخالجني شعور مضحك..."

اعترفت بذلك وقد أفلتت منها ضحكة خفرة وهي تلاحظ أنه يبدي بعض البهجة الآن:

"أشعر بأنك.. بأنك تخطط لشيء ما."

وضحكت عيناه وحبست أنفاسها فكم يبدو جذابا وهو ينظر اليها هكذا..

"ليست مؤامرة يا عزيزتي."

ورفع يده بغطرسة عندما رآها تفتح فمها لتقاطعه.

"دعينا ننتظر لنرى.."

"ننتظر لنرى؟... هاتان الكلمتان لهما مغزى.. إنها لا تشك في ذلك لكنها لا تعرف لهما معنى حتى في أوسع أحلامها.

وهكذا لم يكن باستطاعتها إلا أن تلهث وتحدق فيه غير مصدقة عندما علمت بنيته أخيرا.

طارا الى جزيرة كايواي - أو الجزيرة الخضراء كما تدعى لأنها أكثر جزر هاواي خضرة، وأبحرا بالزورق البخاري الى كهف فيرن غروتو أو كهف الرخس البديع وهو كهف ابدعته الطبيعة وسط منطقة استوائية شديدة الخضرة تتدلى عليها نباتات الرخس.

وهنا في مكان هادىء، طلب منها غارث أن تتزوجه، وقال بلهجة مفعمة بالمشاعر الرقيقة:

"إنني أحبك يا وندي، في البداية حاولت ألا أفعل ذلك عندما اعتقدت أنك لينيز ما فارو، كما لم تكن لدي أية رغبة في الزواج..."

وهنا توقف عن الكلام، وابتسم لها ثم مضى يقول:

"لكنني تعلمت كيف أحبك رغم كل هذه الأشياء، ومع ذلك كنت أقاوم، وأقاوم شيئا أصبح بسرعة أقوى مني، أوقعتني في أسر سحرك ياوندي، لذلك يمكنك أن تتصوري مدى راحتي عندما اكتشفت أنك لست لينيزما فارو..."

وتوقف لحظة ثم قال:

"كل هذا أصبح ماضيا الآن يا عزيزتي، والمستقبل وحده هو الذي يهمنا."

"المستقبل؟ أسبوعان!"

وقفزت الى شفتيها ضحكة هستيرية لكنها كبحت جماحها... أسبوعان، أو ربما ثلاثة... أربعة على أكثر تقدير وأخذ قلبها يدق بعنف، وكل عصب في جسدها يرتجف... أصبحت أحاسيسها مضطربة للغاية، إنها تتساءل الآن لماذا لم تتوقع هذا؟ كانت عيناه تنطقان برقة متناهية أحيانا، وكثيرا ما اتسم صوته بالحنان، ومع ذلك لم تفطن، معتقدة أن هذا الموقف الخاص اتخذه لسبب واحد فقط، أنه يستطيع الاستمتاع الى أقصى حد بكل ذرة سعادة من هذه العلاقة فوق سطح السفينة. كم كانت عمياء واشتد غضبها من نفسها داخل أعماقها، غضبها من أنها فعلت الشيء الذي كانت ترغب، بلا جدوى، في ألا تفعله: تركته يقع في حبها. لقد أنقذت شو لكن غارث، الذي أحبته بهذا العمق، آذته، لا... حتى في هذه المرحلة المتأخرة يمكنها أن تفعل شيئا، يمكنها أن تعامله معاملة سيئة وتتحدث بطريقة ساخرة عن افتراضه بأنها ستقبل عرضه بالزواج، لن تترك حبه يترعرع، ستدمره وتطأه، وتقتله.

إن هذا سيؤذيه مؤقتا، ولا شك في أنه سينال من كبريائه لكنه سينجو من ضرر دائم، وفجأة تراءى لها أنها

دم

تموت سيدرك حينئذ السبب في معاملتها إياه بعد أربعة أيام عندما ترسو في كاليفورنيا ، أجل كان هذا هو الرد ، يمكنها أن تبرق الى الدكتور هويتيكر لتبلغه بأنها عائدة الى الوطن في وقت مبكر قليلا عن المتوقع ، وحينئذ سيعد كل شيء لدخولها الى دار التمريض ، هل سيكون لديها المال الكافي لمصاريف عودتها ؟ قدرت انه سيكون معها فقط المبلغ الكافي لذلك .

"وندي عزيزتي ، أين أنت ؟ إن عرضي ، بالتأكيد ، لم يكن مفاجأة تامة لك ، لابد أنك أدركت أنني كنت أزداد اهتماما بك ؟"

وبدا أنه منزعج قليلا ، وصرخ قلبها مما توشك أن تفعله . ونظرت الى وجهه ، ولخوفها من أن تخونها شجاعتها تكلمت بسرعة ، وهي تضفي على صوتها رنة ازدراء :

"أتزوجك ؟ ما الذي أوحى اليك بأنني سأفكر في ذلك ؟ أولا أنني لا أحبك ثم إنك لست النوع الذي يناسبني على الاطلاق عندما أختار زوجا لي .. هذا كل ما في الأمر ."

وافتعلت تعبيرا بالدهشة لأنه اعتبر مسألة اهتمامها به من المسلمات وأضافت :

"انا لم أظهر أية بادرة تشير الى أنني أكن لك أية مشاعر غير الصداقة ... على الأقل هذا ما أذكره ."

الحيرة وعدم التصديق والألم تجمعت كلها في تعبيره وهو ينظر اليها . وكانا يقفان في الكهف وقد تدلت فوق رأسيهما نباتات الرخس اللينة الرقيقة . كان منظرا رقيقا رومنسيا ... وبشجاعة أمسكت دموعها التي تجمعت في سحابة رقيقة خلف عينيها ، لكنها اضطرت أن تشيح بسرعة حتى يمكنها ذلك .

"ألا تحبينني ؟"

وكان صوته مكتوما ، وأدركت أنه يجد صعوبة في مجرد النطق بالكلمات

"يمكنك أن تقولي بكل أمانة ، أنك لا تحبينني ؟"

وهز رأسه كما لو كان يريد أن يبعد الآثار المدمرة لكابوس مزعج .

"بالتأكيد يمكنني !"

وتعجبت ، كيف كان صوتها بمثل هذا الثبات .

"أجل ، بالتأكيد ، غارث ، لقد أفسدت كل شيء ."

وصرخت بغضب :

"كانت الأمور لطيفة .. غزل السفينة الذي أعتقدت أن كلينا ينعم به ، لماذا تفسده بالواقع في حبي ؟"

وأخذ شريان في رقبته ينبض بشدة عندما تدفق الدم فيه وعلى جانبي فمه ظهرت تجاعيد صغيرة داكنة وسط اللون البرونزي الجذاب .

"غزل ..."

وأصبحت عيناه الداكنتان باردتين الآن ، وهما تلمعان مثل قطعتين من الصلب تم شحذهما حديثا .

"إذن كان الأمر بالنسبة اليك هكذا ؟"

وابتلعت ريقها بتشنج ، وهي تحاول أن تزيح ألما فظيعا انتاب حلقها ، وبدأ رأسها يؤلمها الى حد ما أيضا ، لكنه كان ألما فاترا بدون تقلصات ، يمكنها أن تتحمله .

"هذا ما قلت ."

ألقت هذه العبارة وهي تتعجب من تماسكها الظاهري ، حين كان قلبها في الداخل يتفتت ، وهمست لنفسها وكل عقلها وجسدها يعانيان من ألم مبرح : عزيزي غارث .. لم تبق في حياتي إلا بضعة أسابيع على الأكثر ، ويمكن أن تكون بضعة أيام فقط ... لماذا أحببتني وتريد أن تتزوجني ؟"

ثم قالت بصوت عال :

"انت أفسدت كل شيء كان يمكننا أن نمضي معا فترة أطول ، نستمتع فيها برفقة بعضنا البعض لكن الآن ..."

وسمحت لصوتها بأن يخفت وخفضت رأسها وهي غير قادرة على تحمل التعبير الفظيع في عينيه . وقال أخيرا في قوة :

"يبدو أنني اعتبرت أشياء أكثر من اللازم أمرا مسلما به ."

"فعلت ذلك في الواقع !"

"اغفري لي وأنسي الموضوع ."

ووقفت لحظة صامتا وتلفت حوله في الكهف الخلاب : المكان الجميل الذي اصطحبها اليه ليعرض عليها الزواج ، وتداعى قلبها وبذلت جهدا خارقا في منع نفسها من أخباره بالحقيقة ، لكنها امتنعت وهي مقتنعة بأنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذه

من الألم. يجب أن يفقد حبه لها بسرعة، وهناك وسيلة وحيدة لذلك، هي أن تعامله ببرودة، وتخبره بأنها لا ترغب في أن تستمر الصداقة بينهما.

٩ - بداية النهاية

وفي الأمسية التالية جلست وندي في البار مع مارجي ودينبي، وراقبت غارث يرقص مع نيكول - فبعدما تلقى ضربة مدمرة لكبريائه برفض وندي عرضه الزواج منها، ومعاملتها له بعدئذ، بدأ الآن يخفف ألمه بالانغماس في التقرب من فتاة ألقت بنفسها عليه منذ البداية. والواضح أن نيكول من ناحيتها تشعر بالانتصار، فان تعبيرا خبيثا يخيم على وجهها كل مرة تلتقي فيها عيناها بعيني وندي. كم هو قليل ذلك الذي تعرفه هذه الفتاة! انها تكاد لا تدرك أن غارث يستغلها ويحاول أن يعوض بعض السلوى برفقتها.

أما نسبة الى غارث فانه لا ينظر الى وندي إطلاقا الا عندما يضطر الى ذلك حول المائدة، وأصيبت مارجي باحباط حتى أنها كانت على وشك البكاء عندما سألت وندي عن الأمر، وحاولت بطريقتها الفجة أن تقود الأثنين الى استئناف الحديث.

"الشراب جيد بصفة خاصة هذه الليلة، ألا تعتقد ذلك يا غارث؟ وأنت يا وندي، أليس كذلك"؟

وأومأ كلاهما بالموافقة، بدون كلام، وحاولت مارجي مرة أخرى أثناء الغداء في اليوم التالي، وتحدثت وندي اليها فيما بعد بهذا الشان وأخبرتها بأنها هي وغارث تشاجرا، ولا مجال للصلح بينهما.

"لكن "ياعزيزتي"، أنا واثقة أنه يمكن إصلاح الأمر،

كنتما في منتهى السعادة".
ونظرت بعينيها اللامعتين الى عيني وندي، ومضت تقول:
"هناك شيء ما تخفينه، أليس كذلك يا وندي"؟
واعترفت وندي وقد ابيض وجهها وهي تشعر بألم مبرح في رأسها. وبعد فترة تردد قصيرة، اعترفت بأن هناك شيئا لا تريد أن تتحدث بشأنه وأضافت:
"ولكن أرجوك لا تسأليني عنه يا مارجي، انه شيء لا يمكنني مناقشته، ليس في هذا الوقت على أية حال".
ونظرت اليها مارجي، وفجأة فاضت عيناها بالشفقة وأكدت، متجاهلة توسلات وندي:
"يبدو إنك واجهت مأساة كبرى في حياتك، أدركت ذلك وتذكرت تلك النظرة الهائمة في عينيك، ألم تقولي انك ستتذكرين أنني وضعت نفسي في تصرفك".
سؤال، أدركت وندي - واثقة - أن اصرار مارجي هذه المرة ليس من قبيل الفضول، فهي في هذه اللحظة ليست الشخصية الفضولية الثرثارة التي تعودت أن تراها، لكنها كانت مخلصة مستعدة لتقديم المساعدة. واعترفت وندي، بعدما ترددت فترة طويلة، بأنها ستشعر بارتياح كبير لو تحدثت مع مارجي وطلبت منها أن تكون مستعدة لو حدث شيء، لكن لحظة التردد مرت سريعا، وهزت رأسها، وعادت تقول:
"لا تسأليني عن الأمر، لا أستطيع أن أتحدث بشأنه في الوقت الحالي".
ولم تدرك أن التغيير المؤلم ظهر مرة أخرى في عينيها الجميلتين، وبدأت تشعر بالدوار نتيجة الألم في رأسها وأصبحت ترى الاشياء القريبة منها كما لو كانت تسبح في الظلام، هل هذه هي النهاية؟ لا، يجب ألا تلقى حتفها فوق السفينة، لو أنها تركت السفينة في كاليفورنيا من دون أن تخبر أحدا إلا مراجع الأوراق والحسابات، فان غارث لن يعرف أبدا لماذا رحلت. ولن يعلم أبدا بموتها، ما الذي ستخبر به موظف الحسابات؟ ستقول ان لها أقارب في

كاليفورنيا، وترغب في البقاء عندهم فترة من الوقت، أجل، هذا سبب معقول، لكن ينبغي أن تتخلف عندما تخرج مارجي ودينبي لزيارة معالم المدينة، وسيكون هذا صعبا لأن مارجي مصممة على أن ترافقها، اذ قالت:
"لأنه لا يصح أن تكوني وحدك يا عزيزتي".
حسنا، مازال هناك يومان باقيان، وأحست وندي بأنها واثقة من قدرتها على التعلل بعذر مقبول لعدم مرافقتها مارجي وخطيبها الى بيفرلي هيلز وهوليوود يوم رسو السفينة. كان المقرر أن تبحر السفينة في السابعة من الأمسية نفسها وعندما يحين موعد العشاء لن تكون موجودة.
سينتظرون بعض الوقت قبل بدء الطعام، ثم تسأل مارجي - أو ربما فريزر - المضيف اذا كانت الانسة براون مريضة ومعتكفة في غرفتها، ولأنه يكون علم مسبقا بأنها تركت السفينة، سينقل هذا النبأ اليهم، ستصاب مارجي بألم بالغ، لكن فريزر لن يفكر كثيرا في وندي لأنها رحلت بلا كلمة - ماذا عن مشاعر غارث؟ رأت وندي أنه سيكون فرحا لأنه لن يواجهها على المائدة بعد الآن، فرحا لأن الموضوع اختفى من حياته الى الابد - وقطع صوت مارجي عليها أفكارها حين سألت:
"هل أنت بخير يا عزيزتي"؟
والتفتت، وأرغمت شفتيها على ابتسامة لكنهما سرعان ما تجمدتا لأن الألم في رأسها أخذ يتزايد الآن وأصبح يدق بجنون يؤثر على ثبات نظرها، واجابت وهي تنهض من مقعدها:
"أشعر بصداع خفيف، أود أن أستلقي برهة".
"صداع؟ معي العلاج المناسب يا عزيزتي".
ومن دون لحظة تردد فتحت مارجي حقيبة يدها وسحبت زجاجة صغيرة وهي تقول:
"انه دواء مدهش سأستدعي المضيف ليحضر لك كوبا من الماء".
"لا، شكرا لك يا مارجي. لكن ينبغي ألا أتعاطى هذه الحبوب، أعني لدي حبوب أخرى في غرفتي".

"لا يمكن أن تكون مفيدة هذه! انها تشفي الصداع في ثوان، أيها المضيف تعال".
"مارجي أرجوك".

ووقفت وندي وهي تشعر بأنها قد تنهار في أية لحظة الآن، وشعرت لأول مرة بالغضب من السيدة الأميركية وقالت:
"أفضل أن أتعاطى حبوبي الخاصة".
"هل ستفعلين"؟

وتدلى وجه مارجي الجميل. وتمنت وندي لو عالجت الموقف بحذر أكبر، لكن الألم كان يعصف بها، وأصبحت رغبتها الملحة الوحيدة أن تذهب الى غرفتها وتلقي برأسها على الوسادة وغمغمت:
"انني آسفة".

ومن دون أن تنطق كلمة أخرى استدارت وابتعدت.

وحالما دخلت غرفتها لم تستغرق وقتا بل تناولت الحبوب فورا، يجب أن تعيش يومين آخرين على الأقل، يجب... لا شيء في حياتها كلها كان عاجلا بمثل هذه الرغبة في أن تترك السفينة وهي حية! ينبغي أن تنقذ غارث بأي ثمن ولو أنها في قرارة نفسها كانت مستعدة لأن تفارق الحياة الآن، لأن الحياة لم يعد لها معنى بعدما افترقت عن غارث.

ولأنها كانت مرهقة من الألم استلقت فترة طويلة تحاول ألا تفكر في ما كان يمكن أن يحدث لو لم تكن في هذه الحالة. غارث يحبها ويريدها زوجة... وقطعت أفكارها وحاولت أن تنام، لكنها لم تستطع كبح إلحاح الأفكار في ذهنها. ورأت نفسها عروسا مشرقة في ثوب الزفاف الأبيض تحف بها شقيقتا غارث، وشقيقه يقوم بدور إشبين العريس. انها جزء من أسرة يحبها أفرادها، ويرحب بها والدا زوجها اللذان أصبحا والديها هي من الآن فصاعدا... الى أي مدى يمكن أن تكون الحياة سعيدة...
"لكنني عشت"...

وبخت نفسها عندما فرت دموع اليأس من عينيها وأخذت تتدفق فوق وجنتيها البيضاوين.
"عشت منذ اللحظة التي أصبح فيها غارث مهتما بي".

حقا كانت الأسابيع الأولى مؤلمة قليلا، عندما تجفل في مواجهة سخريته وازدرائه وكبريائه، كان واقعا تحت سوء فهم معتقدا أنها ليست سوى لينيز مافارو الشهيرة بسوء السمعة، لا عجب أنه حاول الابتعاد عنها! لكنه وقع تحت سيطرتها واخبرها بذلك حين كانا معا في الكهف. هل حدث هذا منذ يومين ونصف فقط؟ يبدو كأنما مرت أشهر عدة منذ افترقا، منذ قال وداعا بتلك اللهجة القاطعة فوق سطح السفينة بعد لحظات من صعودها اليها اثر عودتهما من هاواي، فقد اتخذ موقفا صارما ونظر اليها لحظة صمت اتسمت بالبرود قبل أن يردد وداعه الأخير... الأخير... أجل... كان الأخير! وانسحب مبتعدا وهي واقفة هناك تتسارع دقات قلبها الى حد أنها، في غمرة يأسها الفظيع، كانت سترحب بالنهاية لو أتت حينذاك.

وأخيرا نامت، لكنها فور استيقاظها استحوذت عليها أفكارها مرة أخرى. أجل، تلك الأسابيع الأولى كانت مؤلمة الى حد ما، ومع ذلك كانت راضية بالموقف قانعة بأن غارث لم يكن يحبها رغم أنها بدأت تحبه، ولكن بعدما علم بأنها ليست لينيز مافارو تغير موقفه تماما إزاءها. صار الحبيب الكامل، الحبيب اللطيف الرقيق الذي اعتزم أن يجعلها زوجة له.

ونهضت من الفراش، وهي مصممة على عدم البكاء مرة أخرى، واغتسلت وغيرت ملابسها واستخدمت بعض المساحيق في تلوين خديها وشفتيها، ومشطت شعرها بقوة، ثم غادرت غرفتها لتتجه الى غرفة الملكة حيث كانت تعرف أنها ستجد مارجي ودينبي، وقد رحبت برفقتهما، فابتسامتهما بلسم لأساها. ودققت مارجي النظر في وجهها باهتمام بالغ بعدما سألتها اذا كان الصداع قد زال، وقالت بلهجة اتهام:
"وضعت بعض المساحيق على وجهك، هل أنت مريضة"؟

وابتسمت وندي، لا شك في أن هناك شيئا في مارجي سترومبرغ المهرجة الفضولية يحبب الناس فيها".
"لا، لست مريضة، ومع ذلك وضعت بعض المساحيق

على وجهي لأنني لاحظت أنني شاحبة. الصداع يجعل المرء شاحبا، أليس كذلك"؟

"لم يجعلني شاحبة أبدا، ليس الى الحد الذي ألاحظه، وعلى كل فما دمت تشعرين بأنك على ما يرام، فهذا ما يهم ها هو ذا المضيف فاطلبي ما تشاءين، هذه الشطائر لذيذة، والفطائر أيضا رائعة، ينبغي أن نطلب طريقة صنع بعضها، ألا تعتقدين ذلك؟ أو ربما لا تقومين كثيرا بصنع المأكولات بنفسك"؟

"كنت أفعل ذلك... ولكن..."

وتلاشى صوتها الى حد الصمت عندما تلاقت عيناها بعيني غارث وهو يمر، وقد سارت نيكول الى جواره، وتحركت شفتا وندي في حركات متشنجة. وتحولت عينا نيكول الداكنتان المزهوتان فوق وجهها بينما تحركت شفتاها أيضا بسخرية، لكن وندي التفتت بسرعة الى الناحية الأخرى، وهي تشعر بالغضب لأنها - بارتعاشة شفتيها - كشفت أنها متألمة لوجود غارث مع فتاة أخرى، واستطاعت مارجي أن تلمس، بسرعة، الى أي مدى تألمت وندي لكنها واصلت الحديث السابق قائلة:

"لم تعودي تفعلين ذلك؟ أتوقع، على أي حال، أنك سوف تقومين بشراء الحلوى اللذيذة".

وشعرت وندي، بالامتنان لها، وابتسمت في وجهها وشكرتها بعينيها، وقالت وهي تلاحظ أن دينبي ينقل بصره من إحداهما الى الأخرى في حيرة:

"من السهل، هذه الأيام، شراء فطائر لذيذة".

وتساءل دينبي بخشونة:

"ما هذا؟ من يريد أن يتكلم عن الفطائر"؟

وبالكاد سمعته وندي، لأن عينيها كانتا تتابعان ظهر غارث المعتدل العريض وهو يسير بترفع نحو طاولة يقف بجوارها أحد المضيفين على استعداد لتلبية الطلبات. وجلست نيكول أولا ثم جذب غارث كرسيه وجلس، وطلب الشاي، وكادت وندي تبكي وهي تتذكر المرات الهادئة الودية التي تناولا فيها الشاي في هذه الغرفة الجميلة، ويبدو أنه شعر بأن نظراتها مركزة عليه لأنه

اختلس النظر تجاهها، وأدارت نيكول رأسها متتبعة اتجاه نظرته، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة، وتحدثت الى غارث وابتسم لها، ثم أدار مقعده بحيث صار ظهره ناحية وندي.

وابتلعت الغصة التي أصابت حلقها وأحست بأنها فقدت شهيتها، لكن ينبغي أن تأكل شيئا لأن مارجي كانت ستعلق لا محالة لو قالت، فجأة، انها ليست جائعة.

وعندما كانت مارجي ووندي ودينبي في الملهى الليلي في ساعة متأخرة من تلك الأمسية، ينظرون الى حلبة الرقص، قال دينبي:

"لم يبق إلا أسبوعان فقط، كم مر الوقت سريعا! عندما فكرت في البداية كيف أقضي ثلاثة أشهر فوق سطح السفينة كنت أشعر أنني سأمل البحر قبل نهاية الفترة بوقت طويل".

وابتسمت مارجي ابتسامة عريضة وهي تقول:

"ولكن حينئذ لم تكن تعرف أنك ستقابلني"!

وضحك ونظر اليها بحنان وقال:

"أتمنى لو تزوجنا فوق السفينة".

"ليست معنا الوثائق المطلوبة ياعزيزي".

"سنتزوج فور وصولنا الى الوطن".

وشعرت وندي بأن عليها أن تبدي بعض الاهتمام بحديثهما فسألت:

"متى تعودان الى الولايات المتحدة"؟

وقال دينبي وهو يتناول بعض الفطائر:

"سنعود بعد شهر تقريبا، ننوي القيام بجولة في انكلترا أولا".

وتمهل برهة ثم قال:

"ما هي مشروعاتك ياوندي؟ هل لديك شيء خاص"؟

وهزت رأسها وقالت انها ليست لديها أية خطط خاصة، وقالت مارجي:

"نود أن تزورينا".

والتفتت وندي وقد بهتت من هذه الدعوة غير المتوقعة، وأضافت مارجي:

"سنقيم في تكساس، لأن دينبي له طفلان هناك وله بيت، فيه مستأجرون في الوقت الحالي، لكنهم سيرحلون عندما يعلمون أن دينبي يريد استعادته، هل ستأتين الينا يا وندي؟

ماذا ينبغي أن تقوله؟ اسهل طريقة أن تقول: نعم، فهذا هو الرد الذي سيفرح الاثنين، لكن ما الذي سيعتقد انه عندما تختفي في كاليفورنيا؟ وردت بنعومة:

"انكما تخجلان تواضعي بدعوتكما، لكنني أخشى ألا يكون لدي الوقت ولا المال لرحلة مثل هذه".

وفكرت انه لا أكاذيب في هذا القول، فتلك هي الحقيقة التي لا سبيل لإنكارها، ليس لديها الوقت ولا المال لذلك.

"يا للخسارة"!

قالت مارجي ذلك وأخذت عيناها الفاحصتان تستقران على وجه وندي، ثم أضافت:

"ينبغي أن نظل على اتصال ياعزيزتي، وأعتقد أن الوقت حان لتبادل العناوين، أليس كذلك؟ سنتراسل، وعندما يتوفر لديك الوقت والمال ينبغي أن تأتي لزيارتنا. من المحتمل أن نكون في انكلترا قرب نهاية العام القادم، هل يمكننا البقاء معك فترة من الوقت؟ أعرف أنك بعت بيتا، لكنك ما زلت، بالطبع، تملكين واحدا للاقامة فيه".

والتقطت مفكرة صغيرة وقلماً من حقيبة يدها ونظرت الى دينبي قائلة:

"اكتب أنت عنواننا لوندي، لا أعرفه بعد، أجل أخبرتني به لكنني نسيته".

وحولت اهتمامها الى وندي تنتظر منها أن تذكر عنوانها. وبللت وندي شفتيها وهي تبحث بعنف في ذهنها عن وسيلة تخرج بها من هذا المأزق، وأملت عنوان دكتور هويتيكر، وهي موقنة بأن هذا أفضل شيء يمكنها أن تفعله، فعندما يتلقى رسالة من مارجي سيرد عليها ويخبرها بما حدث.

* * *

وفي الصباح التالي ذهبت وندي الى مائدة الافطار مبكرة بشكل خاص وهي لا تتوقع أن ترى أحدا ممن تعرفهم، لكن لدهشتها كانت مارجي جالسة أمام المائدة تثرثر مع المضيف الذي غادر المكان حالما رأى وندي تقترب. وما كادت تجلس حتى بدأت مارجي تتكلم:

"لن يمكنك تخمين ما اكتشفته يا وندي! لقد استيقظت منذ فترة طويلة"...

"منذ فترة طويلة؟ لماذا"؟

"كنت أتجول في أنحاء السفينة، فقد أردت أن أعرف ماذا في الجانب الآخر من ذلك الباب التالي لمكتب موظف الحسابات".

وتوقفت عن الكلام لحظة، وانتظرت حتى مر أحد الأشخاص من جانب المائدة ثم قالت:

"لا أريد أن يسمعني أحد، انها مؤامرة من جانبي منذ البداية".

"لكن لماذا يا مارجي؟

"وددت أن ألقي نظرة خلف ذلك الباب".

"لكنه مكتوب عليه كلمة "خاص". لم تدخلي... هل فعلت"؟

"خاص؟ انك تعرفينني ياعزيزتي... ينبغي أن أغوص في أعماق أي شيء يحيرني، وقد لا أنجح دائما لكنني دائما احاول".

واضطرت وندي الى الضحك رغم تعاستها وطلبت من مارجي أن تستمر فقالت:

"قدرت أن ليس هناك أحد في تلك الساعة من الصباح، دفعت الباب فانفتح، أجل، فلم يكن مغلقاً بالمفتاح وتسللت الى الداخل، هناك ممر بأبواب على الجانبين.. احزري ماذا؟ إحدى الغرف هناك هي غرفة القبطان الخاصة الصغيرة، ليست مقره الرسمي الذي يعرفه الجميع، لكنها غرفة صغيرة يمكنه أن يذهب اليها وهو واثق أن أحدا لن يزعجه".

وقالت وندي بفضول:

"كيف عرفت أنها غرفة القبطان الخاصة"؟

"لأنني شممت رائحة القهوة اللذيذة فقررت أن أختلس نظرة خلال فتحة الباب، وهناك كان القبطان يجلس".

"وماذا في ذلك"؟
"كنت على وشك العودة عندما سمعت صوته وأدركت أنه لابد أن يكون برفقة شخص ما".
وتوقفت بحركة مسرحية، وتجهمت وندي في حيرة وهي تنتظر أن تواصل كلامها:
"أعرف أنك تفكرين أنه ليس هناك شيء غريب أن يكون مع القبطان شخص ما لتناول قهوة الصباح الباكر؟"
"أجل، هذا ما كنت أفكر فيه بالضبط".
"انتظري حتى تعرفي ضيفه، ألديك أية فكرة من يكون؟"
"لا، ليست لدي أية فكرة على الاطلاق، وأنا في غاية الفضول لأعرف".
"انك تسخرين مني".
ثم ضحكت مارجي وقالت في هدوء وهي تضغط على كل كلمة:
"صديقنا غارث ريفرز!"
واشاحت وندي بوجهها ورددت:
"غارث؟ غارث كان مع القبطان؟"
"مع القبطان! ألم أخبرك منذ البداية بأن غارث شخصية هامة؟ ماذا لديك لتقوليه في هذا؟"
"لا أرى أنك برهنت على رأيك، هل كون غارث يحتسي القهوة مع القبطان يعد برهانا على أنه شخص هام؟"
"هل ندعى نحن الى غرفة القبطان؟"
"لا... لكن.."
"ولا تسعة وتسعون وتسعة أعشار في المائة من الركاب الآخرين فوق هذه السفينة، أقول لك أن غارث شخص هام!"
"ربما يكون صديقا للقبطان، لكن هذا لا يجعله آليا رجلا ذا اهمية."
"لو كان صديقا للقبطان لعرفنا بذلك قبل الآن".
وكانت وندي تميل الى الموافقة على هذه العبارة لأنه ببساطة، لو كان غارث صديقا للقبطان لدعي لتناول العشاء على مائدته قبل الآن بفترة طويلة كما دعيت شخصيات أخرى.

"مازلت لا أرى كيف يمكنك أن تستنتجي أن غارث شخصية هامة".
قالت وندي ذلك رغم أنها بدأت تعتقد بينها وبين نفسها أنه كذلك.
وردت وندي في جدية:
"أي شخص عادي في سفينة بهذه الحجم لا يقوم بزيارة غير متوقعة للقبطان ليتناول قهوة الصباح الباكر".
"لا أرى أنه قام بهذه الزيارة من دون توقع، ليس في مثل تلك الساعة المبكرة، لابد أنه دعي".
"وهكذا اذا لم يكن صديقا للقبطان، ومع ذلك دعي لتناول القهوة فهذا يبرهن على أنه شخص هام، لا يا عزيزتي، لا تقاطعيني بعد، لأن فكرة خطرت ببالي هذه اللحظة: القبطان سمع للتو بأن غارث شخص هام إنني أتعجب فقط من يكون غارث؟ ألن يكون مثيرا لو أنه شخصية ذات اسم كبير كدوق حقيقي.. أو دوق مليونير!"
وهزت وندي رأسها وقالت بتأكيد:
"ليس دوقا".
"لا يمكن أن تكوني متأكدة من ذلك. لماذا: ينبغي أن تعترفي بأن أساليبه أرستقراطية للغاية".
"نسيت - فيما يبدو - ما قاله فريزر عنه، وهو أنه مرهق بالعمل منذ سنين".
"نعم.. نسيت ذلك يا عزيزتي".
وضمت مارجي شفتيها وأضافت، بعد فترة صمت قصيرة:
"كان ينبغي لي أن أتذكر هذا، أليس كذلك؟ خاصة أنه كان يطرأ على بالي دائما عندما أشعر بالحيرة إزاء غارث".
واضافت بغموض وكأنها تناقش نفسها:
"إذن رأيي أن غارث مدير أعمال كبير أو شيء من هذا القبيل... ولكنه في هذه الحالة لا يكون شهيرا".
"هذه فكرتك فقط أنه شهير".
وتجهمت مارجي قائلة:
"إنه يحيط نفسه بجو من العظمة".
واضطرت وندي للضحك من هذه العبارة، لكن

مارجي استمرت:
"هذا ليس أمرا مضحكا! أكره أن أكون عاجزة عن اكتشاف الأمور!"

ومرت بالقرب من المائدة امرأة زرية الثياب في نحو الخمسين من عمرها، وحالما ابتعدت غيرت مارجي الموضوع وأخبرت وندي بأن هذه المرأة اشتركت في الرحلة لأنها ربحت أكثر من خمسين ألف جنيه من المراهنات على نتائج مباريات كرة القدم وأضافت في اشمئزاز:

"إنها امرأة وضيعة، أرملة مستعدة لتعاطي الخمور حتى تلقى حتفها مبكرا أنها جريمة أن يكسب أناس مثلها أموالا طائلة كتلك."

وكان غارث يقترب، ولم تقل الاثنتان شيئا أكثر من ذلك، لكن كانت مارجي خلال الإفطار تختلس اليه نظرات خفيفة، وأخيرا قال، وقد اكتسى صوته بنبرة خشنة:

"ما الغريب فيّ يا مارجي؟ هل تركت جزءاً من صابون الحلاقة على طرف أنفي أو شيئا من هذا القبيل؟"

واحمر وجه مارجي خجلا وقالت:

"هذا ليس لطيفا منك يا غارث، كنت فقط أنظر اليك."

"لماذا؟"

"إنك كثير التدقيق، هاهو ذا فريزر قد حضر! صباح الخير يا فريزر، هل نمت جيدا؟"

"جيدا جدا، كالمعتاد، ضميري مستريح وهذا كل ما في الأمر كما تعرفين."

وجلس ثم نفض فوطته وفردها فوق ركبته، وأمسك بقائمة الطعام، كريب فروت - كورن فليكس، لحم وبيض، سجق وطماطم، حلقات من الخبز الطازج والزبد، خبز محمص ومربى

"أعتقد أنني سأتناول بعضا من مربى الكرز الأسود لأنني لم أذقها بعد فوق هذه السفينة" وهتفت مارجي:

"لن تأكل كل هذا وأن فعلت فلن تحتاج لشيء آخر طول اليوم!"

"هكذا سيكون لدي وقت أكبر للتجول في أنحاء الجزيرة، فانني أبحث عن التحف القديمة."

"حاذر، فإن كل شيء مزيف هذه الايام."

وأومأ غارث برأسه عند هذا القول، وهو يتجنب عيني وندي، كالمعتاد.

"شراء التحف في أي مكان من غير التجار المعروفين مقامرة كبيرة جدا هذه الأيام، فقد وصلت عمليات التزييف حتى أن الخبراء يخدعون أحيانا."

وسألته مارجي في فضول:

"هل تجمع التحف القديمة؟"

"كنت محظوظا بوراثة كل ما أحتاج اليه."

اجابها وهو يلتقط سكينا ليمسح بها الزبد على الخبز المحمص، وأكل قليلا، ولا حظت وندي تلك البداية بغض النظر عن الوجبة نفسها، ففي الإفطار تناول قطعتين من الخبز المحمص، واحتسى فنجانا واحدا من القهوة، وأضاف يقول:

"أحيانا أختار القطعة لمجرد أن أضيفها الى مجموعتي، لكن جمع التحف ليس بأية حال هوايتي كما هو الحال بالنسبة الى بعض الناس."

ورمق وندي كما لو لم تكن موجودة على الاطلاق، واستفسر من مارجي إذا كانت هوايتها جمع التحف فأجابت بالنفي، لكن لرغبتها في أشراك وندي في الحديث، ابتسمت لها وسألت:

"هل تجمعين التحف يا عزيزتي؟"

ومن دون تفكير قالت وندي إنها ذات مرة بدأت في جمعها، لكن منذ بضعة أشهر قررت ألا تشتري شيئا آخر.
وأضافت:

"لدي بعض القطع الجميلة من روكنفهام."

"روكنفهام؟ تلك أشياء يصعب اقتناؤها هذه الأيام."

"أجل أعتقد هذا."

وظهرت الظلال في عينيها لحظة عندما تذكرت ابن العم المجهول الذي لابد أن يرث قريبا صندوقي ممتلكاتها وقد تركتهما مع الدكتور هويتكير.

وتساءل فريزر.

"ما الذي جعلك تتوقفين عن هذا الجمع؟"
"الأشياء غالية جدا الآن."
وعند هذه اللحظة وصل أفطار فريزر، وترك الموضوع ولم يثره مرة أخرى مما جعل وندي تشعر بالارتياح.

١٠ - الجراح المجهول

وبعد الافطار مباشرة ذهبت وندي الى مكتب موظف الحسابات وأبلغت المسؤول هناك بعزمها على مغادرة الباخرة في لوس أنجلوس، فقال بتجهم:
"هذا قرار مفاجىء، فالركاب الذين يعتزمون النزول في أي من الموانىء يبلغون شركة البواخر عادة، في بداية الرحلة".
"أنا آسفة للازعاج، لكن من الضروري جدا أن أترك السفينة غدا".
"فهمت، سأبذل كل ما في وسعي، وعليك حزم جميع أمتعتك واعدادها".
وقالت: نعم إنها ستكون مستعدة.
سيكون الرحيل نهائيا هذه المرة، نهائيا تماما.
وعندما عادت الى غرفتها بدأت في حزم أمتعتها وهي تفكر: الى أي حد أصبح هذا لا جدوى منه لأنها لن تحتاج مرة أخرى الى كل تلك الثياب، فملابس المساء - مثلا - يمكنها أن تخرجها وتلقي بها من السفينة وهذا من شأنه ألا يثير المتاعب للآخرين، لكنها حزمتها تاركة في الخارج ثوب "البيلوس" اليوناني التصميم، لأنه سيكون هناك حفل تنكري راقص آخر هذا المساء.
أين تذهب عندما تغادر السفينة في لوس أنجلوس؟ بالطبع ستنزل في فندق، لكنها شعرت بالقلق إزاء ما لديها من مال، فهي ليست واثقة اذا كان سيكفي رحلة عودتها الجوية الى الوطن، ناهيك عن نفقات الاقامة في الفندق،

وهي باهظة، وقالت بفتور:
"سأفكر في هذا في الصباح، فأنا الآن لا أستطيع أن أفكر في شيء إطلاقاً".

وكان حزم الأمتعة يتطلب وقتاً طويلا، لذلك أنجزت جزءا من المهمة ثم ذهبت الى "القاعة الزرقاء" لتناول قهوة الصباح وكان أول شخص قابلته هو شو، الذي تقدم اليها وقال:
"إذن فقد رفضك؟ حسناً، لقد رفضتني لأجله، وهكذا لقيت فقط ما تستحقين".

وكانت شاحبة، لكنها متماسكة، وتجاوزته وجلست، وجاءت قهوتها بعد دقائق من طلبها، وجلست وحدها وهي تحتسيها وتفكر في غارث والأسابيع السعيدة التي قضياها معا، وفكرت في مسندي الكتب الجميلين اللذين اشترتهما له، وراودها الأمل أن يحتفظ بهما، وأن يذكر في بعض الأحيان الذكريات السعيدة فقط، وكانت ترتدي السوار والخاتم، هديتي غارث اليها.

وأقبل مع نيكول، والتقطت وندي كتابها، وهي تشعر بالامتنان لأنها أحضرته معها، أية راحة يوفرها كتاب في موقف مثل هذا! وفتحته في هدوء، وبدأت تقرأ، او بمعنى أصح تتطلع في الصفحة المطبوعة لأن القراءة كانت مستحيلة اذ هناك الكثير تفكر فيه، فان حزم أمتعتها شغلها، كذلك فكرة أنها تصبح وحيدة تماما في لوس أنجلوس سيكون لزاما عليها أن تبرق الى الدكتور هويتيكر، وتسأل عن موعد الطائرة، ثم تذهب الى المطار، ومعها أمتعة كثيرة، اذن ما الذي ينبغي أن تفعله؟ الأفضل أن تتركها وراءها في الفندق، لو ذهبت الى الفندق.
"ينبغي أن أذهب الى فندق، لأنه لن تكون هناك رحلات جوية غدا، لا أعتقد هناك رحلات".

ثم هناك مقابلة صديقيها مارجي ودينبي هذا المساء أثناء العشاء، وهي تعلم أنها تقوم بخدعة قذرة إزاءهما.

أجل، كل هذا تراكم عليها وعلاوة على ذلك تشعر بالقلق أن تكون مع أغراب عنها عندما تأتي النهاية. فوق السفينة

كانت ستكون واثقة من وجود أحد ممن تعرفهم معها في النهاية - غارث... راودها الأمل في وقت من الأوقات أن يكون هو... ثم تلاشى هذا الأمل... وصارت تريد مارجي.
"لكن ربما أتمكن من العودة الى انكلترا، ينبغي أن أكون قادرة على ذلك لأنه لا يزال أمامي أسبوعان آخران، وربما أكثر قليلا".

وعلى أية حال ينبغي أن تكون مستعدة لأنه، حسب الأخصائي الدكتور هويتيكر، لا يمكن التكهن متى تأتي النهاية بالتحديد.

وسمعت صوتاً تعرفه تماما، وضع حدا لجميع أفكارها التعسة. وكانت النظرة التي منحتها لمارجي نظرة امتنان عميق مصحوبة باحدى ابتساماتها البهيجة.
"مارجي؟ إنني سعيدة جدا برؤيتك"!

ونظرت اليها مارجي بشيء من الحيرة وقد ارتسم على وجهها تعبير غريب وقالت:
"حقاً؟ أهناك شيء يضايقك"؟
"لا شيء. فقط كنت متضايقة من البقاء وحدي".

وجلست مارجي على مقعد وهي تشير بيدها للمضيف:
"ذهب دينبي الى المزين لذلك جئت لتناول فنجان قهوة.. وادركت أن لدي شيئا أود اخبارك به! صاحب صالة "البنغو" للمقامرة كسب أكثر من ألف جنيه في الليلة الماضية، في أحد الكازينوهات، اكتشفت ذلك بالصدفة"!

واضطرت وندي الى الضحك وهي تقول:
"مارجي، انك شخصية فذة ولا سبيل لتقويمك"!
"أتعتقدين أن دينبي سيتضايق مني في النهاية"؟
"ليس هو، فانك ستحافظين على حيويته".

وردت مارجي ضاحكة:
"وعلى تزويده بالمعلومات"!

ووصلت قهوتها وجلست صامتة تحتسيها لبضع لحظات ثم قالت أخيرا بنبرة يغشاها الاسف:
"أتمنى لو جئت معنا الى هوليوود".
"سبق أن شرحت لك، فأنا أريد البقاء وحدي فترة

من الوقت".
"اننا نحترم رغبتك لكننا نود أن تكوني معنا".
وابتلعت وندي ريقها بصعوبة، وهي تشعر بشناعة ما تفعله مع هذين الشخصين الرائعين لكن لا طريقة أخرى على الاطلاق، وستفهم مارجي وديني، فيما بعد، عندما يتلقيان رسالة من الدكتور هويتيكر.
ثم قالت:
"إنك لطيفة جدا يا مارجي".
وبعد أن فرغتا من قهوتهما قالت مارجي:
"ما الذي ستفعلينه الآن؟ ما رأيك في القاء نظرة على المحلات التجارية"؟
"أجل، سيكون هذا أمرا سارا".
أي شيء لتهرب من بقائها وحيدة، لانها ستصبح وحدها قريباً عندما تبحر السفينة بدونها تاركة اياها فوق أرض أجنبية.
وكانت المحلات حافلة بأشياء رائعة تغري أي شخص معه أموال لينفقها لكن وندي ومارجي كانتا تتجولان فقط ولا تشتريان شيئا. وقالت مارجي:
"لا أستطيع أن أقول إنني سأشعر بالأسف عندما تنتهي هذه الرحلة، كانت البداية رائعة، كذلك منتصف الرحلة، لكن عندما اقتربنا من نهايتها تشعرين بأنك... حسنا... لست متبرمة تماما لكن ليس لديك شعور المتعة الذي كنت تحسين به في الموانىء التي زرناها في البداية. أليس كذلك"؟
وأومأت وندي بالايجاب وقالت:
"أجل".
"كاليفورنيا - مثلا - انني أتطلع بشوق الى بيفرلي هيلز وهوليوود لأنني لم أرهما إطلاقا، لكنهما ليستا مثل بالي او هونغ كونغ".
لا... لأن غارث كان معها في تلك الأماكن وقالت:
"هذه الأماكن ليست غريبة... هذا هو السبب".
"هل تذكرين كورا ساو؟ ألا يبدو كانها مرت فترة طويلة جدا منذ كنا هناك"؟

"نعم".
وتذكرت وندي أن تلك كانت البداية، فقد استهل غارث اليوم بدعوتها الى مشاركته سيارته، وأضافت:
"فعلا يبدو كأن دهوراً مرت"..
لم يكن قد مر إلا أسبوعان فقط على مغادرتهم ساوثهامبتن، ثم قضت شهرين رائعين برفقة غارث وصداقته، والآن، كل شيء انتهى.
وقررت وندي أن تتغيب عن الغداء، لأنها أرادت أن تستكمل حزم أمتعتها قبل العشاء، وبعده سيكون الحفل الراقص البديع، ولن ينتهي إلا بعد منتصف الليل، وعرفت بحدسها أنها لن تنام كثيرا هذه الليلة، لذلك الأفضل أن تبقى في رفقة أولئك الذين تعرفهم بدلا من أن تعتذر مبكرا وتستلقي ساهرة تفكر في حالتها وتتأمل كيف ستنصرف وحدها غدا.
وكما حدث من قبل توجهت الى العشاء مرتدية "البيلوس"، واتجهت كل العيون اليها، وسارت متمهلة عبر قاعة الطعام الى مائدتهم عالية الرأس بينما كان قوامها البديع يتهادى في ثوبها الجميل، وكان الاختلاف الوحيد بينها هذه المرة والمرة السابقة تلك النظرة الهائمة التي قالت مارجي انها تبدو في عينيها. وذلك التعبير الحالم المراوغ الذي يلمح الى وجود سر دفين في أعماق قلبها.
كذلك كان هناك نوع من الاستسلام الفاتر، مدفوناً في أعماق عينيها البنفسجيتين الجميلتين... الاستسلام المعبر عن اليأس.
ونظر اليها غارث وهي تجلس، وأصبح واضحا لديها أنه رغم محاولاته فهو لا يستطيع أن يرفع عينيه عنها.
وتحركت شفتاها لتسمحا لابتسامة هاربة بأن تظهر، ورأت عينيه تضيقان، وفمه ينقبض، ثم أدار رأسه متحدثا الى صديقه.
وهتفت مارجي بنبرة اعجاب عميقة:
"عزيزتي، تبدين جميلة، أليس كذلك يا غارث؟ إنها أجمل فتاة في هذه القاعة".

وحدث أنه في هذه اللحظة بالذات كانت نيكول تمر، فتوقفت وظهرت على وجهها نظرة حاقدة، لكن تعبيرها تغير تماما عندما التقت عيناها بعيني غارث، فابتسمت له، وهي تستعرض كل فتنتها، لم تتحرك عضلة واحدة في وجهه، وواصلت الفتاة سيرها، وأعقب ذلك صمت غريب، واحمر وجه وندي ارتباكاً، لكن الحمرة التي كست وجنتيها أكسبتهما نضرة ورونقاً، وعندما تلاشت بقي الجمال وأصبحت بشرتها كالمرمر في نعومتها.

وكان العشاء وجبة هادئة، لكن وندي ظلت طول الوقت واعية لعيني غارث، اللتين اختلستا النظر اليها من حين الى آخر، وبدا كأنه يبحث عن شيء ليس واثقاً منه. وانتابها انطباع فضولي غامض بأنه لا يشعر بالعداء تجاهها كما كان في الأيام الثلاثة الماضية، وكان انطباعا محيرا فلم تكن لديها أية أدلة واضحة.

ولم يكن غارث، ولا فريزر، يرتديان ملابس تنكرية اذ قرر كل منهما ارتداء سترة العشاء التقليدية، أما مارجي فارتدت الثوب الذي ارتدته من قبل - ثوب "مدام بومبادور" الذي يناسبها الى حد كبير.

وأثناء العشاء بدأت وندي تشعر بشيء مختلف تماما عن أي شيء شعرت به من قبل، لم يكن رأسها هو الذي يؤلمها، لكن أطرافها أصبحت خائرة القوة، وعندما التقطت شوكتها رأت يدها ترتعش، وجلست ساكنة تماما لكن لم يحدث شيء جذري، وشعرت أنها بخير أثناء بقية الوجبة، وفي النهاية نهضت، وهي تبدو في شكل ملكي هزيل، وقد شحب وجهها، ورقت حركاتها.

وفي ساحة الرقص طلب مرافقتها شاب كان يحسد غارث طول مدة مرافقته لوندي، ولم تكن وندي تعرف ذلك، لكنه أخبرها بصراحة:

"منذ فترة طويلة وأنا أريد أن أرقص معك، وأخيرا اتتني الفرصة".

وابتسمت له، لكن قلبها كان مع غارث، ونظرت حولها، لكنه لم يكن موجودا، كم بدا وسيما هذه الليلة، كان

لون قميصه الأبيض الناصع يتعارض تماما مع سمرة بشرته الداكنة... ألم يقل فريزر أنه أرهق بالعمل والهدف من هذه الرحلة هو استعادة نشاطه، حسنا، لا يمكن أن يكون أكثر صحة مما يبدو عليه الآن.

وأخبرها الشاب بأن اسمه ستيفن، وعندما توقفت الموسيقى بقي بجوارها. واضطرت أت تبتسم، فالواضح أنه لا ينوي تركها دون حراسة، خوفا من أن يأتي شخص آخر ويطلب منها مراقصته.

وكانت الرقصة التالية "فالس" ولاحظت وندي لدهشتها أن نيكول واقفة وحدها الى جانب القاعة، ومرة أخرى ألقت نظرة حولها، وكان غارث هناك يقف على إحدى الدرجات المؤدية الى المنصة التي يجلس فوقها أعضاء الفرقة الموسيقية، يتحدث مع القبطان. هل رأتهما مارجي؟ سألت وندي هذا السؤال لنفسها وهي تتوقع أن تظهر السيدة الاميركية فجأة، وتربت على كتفها وتصيح بنبرة انتصار:

"ها هو يا عزيزتي، ماذا قلت لك؟ انه شخصية هامة".

وسرحت أفكار وندي من غارث الى الرجل الذي يتحدث معه، سرحت لأن العبء الثقيل المريع لما ستفعله يضغط عليها بكل أثقاله مرة أخرى ومهما حاولت لا تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير فيما ستواجهه هناك. الصعوبة الحقيقية في مغادرة السفينة وحمل حقائب عديدة معها، وهي صعوبة لم تواجهها عندما ركبت السفينة، لأن كل أمتعتها الثقيلة سبقتها الى ظهر السفينة قبل وصولها هي الى ساوثهامبتن. ثم كان هناك قلقها بشأن المال المتوفر لديها، وهل سيتبقى لها شيء لاقامتها بعدما تحذف منه أجر عودتها جواً الى الوطن، ينبغي لها أن ترسل برقية الى الطبيب. وتوقفت أفكارها فجأة وهي تلتوي بين ذراعي ستيفن وضغطت راحة يدها على جبهتها وهي تئن أنينا مكتوما وقالت متوسلة:

"أنا... أنا... غرفتي... ينبغي أن أذهب... الى... غرفتي".

"هل انت مريضة"؟
"أجل... أنا... مريضة... أرجوك أن توصلني"...

وأفلتت منها صرخة حادة عندما وخزها الألم المخيف في رأسها، وشعرت أن كل قطرة دم هربت من وجهها وشفتيها. ومن خلال الضباب الذي غشي عينيها رأت وجه الرجل الذي أحبته وشعرت بذراعيه تمسكان بها وترفعانها وكانت واعية لأصوات الهمهمة المذعورة، ومارجي وديني وهما يندفعان نحوها... واعية لالتفاف الثوب اليوناني الجميل على الرجل الذي يحملها برقة كما لو كانت دمية من الخزف... وسمحت لرأسها بأن يستقر فوق كتفه وهي تصرخ مرة أخرى عندما انتابها الألم الفظيع في رأسها. وسمعت صوتاً يسألها:

"هل لديك بعض الحبوب"؟

كان صوت غارث سريعا لكنه أجش في الوقت نفسه. وفكرت... هل هو غارث؟ انه يبدو مختلفا.

"أجل... في غرفتي"...

وفقدت الوعي حينئذ، لكن ليس لمدة طويلة. وفتحت عينيها وسألت:

"أين أنا"؟

"في مستشفى السفينة"

ونظرت الى وجهه، ورأت انه داكن مجهد! وكان شخص ما يتحدث اليه الآن طبيب السفينة والقبطان نفسه، وصدر صوت ضعيف من بين شفتيها وهي تحاول جاهدة أن تكبت صرخة ألم في الوقت الذي أحست بخوف شديد، وهمست:

"غارث، أريدك قريبا مني عندما... عندما تأتي النهاية".

ورأته من خلال الضباب مجرد شبح لا أكثر، لكنها شعرت بذراعيه وقالت:

"لم أعد خائفة على الاطلاق".

وحتى الآن، والألم المريع يخرق رأسها، نجحت في أن تمنحه إحدى ابتساماتها البديعة.

"نسير بأقصى سرعة، وبذا ينبغي أن نصل الى لوس أنجلوس حوالي الخامسة صباحا".

"ليتني أتمكن فقط من أن أجري الجراحة هنا"!

"مستحيل يا سيد ريفرز، ليست لدينا المعدات اللازمة لمثل هذا النوع من الجراحات".

كلمات... ماذا تعني؟ مازال شبحاً لكنها سمعت صوته يقول شيئا عن إجراء جراحة، وقالت بصوت واهن لكنه مفهوم:

"إنها النهاية... ليس هناك أمل... إنها النهاية لكنني لست خائفة".

ورفعتها ذراع ورأت شبح كوب ماء وسمعت صوتاً يقول:

"القرص يا عزيزتي".

وابتلعته وهي لا تكاد تعي أن شخصاً ما لا بد انه أرسل الى غرفتها لاحضار الأقراص، ورفع غارث كوب الماء الى شفتيها ورشفت بعضا من محتوياته، وأعيدت برقة الى الوسادة، وقالت:

"لست خائفة، لن أكون خائفة اذا بقيت معي يا غارث، لا أستطيع أن أراك جيدا، لكن يبدو أنك أنت".

"إنني هنا ياحبيبتي ولن أتركك".

"الدنيا تسود أمام عيني".

وأدركت أن يدها في يده وقالت مرة ثانية:

"الدنيا تسود أمام عيني".

"يا إلهي! كيف لا يمكنني أن أجري الجراحة هنا"؟

صدرت هذه الكلمات من أعمق أعماقه".

غارث... جراح!

"إنني آسف يا سيد ريفرز لكن ليس هناك ما نستطيع أن نفعله أكثر من هذا. سترسل المستشفى في لوس أنجلوس سيارة إسعاف الى الميناء، لقد أبلغوا باللاسلكي كما تعلم".

هل كان هذا صوت القبطان؟ علمت وندي أنه هو.

"لا جدوى من الجراحة".

هل كان هذا صوتها هي؟ يبدو مهزوزاً وغير واضح، وتجهمت عندما عاودها الألم. أصبح الآن فاترا وعلى هيئة نبضات متتالية، لأن مفعول القرص بدأ يسري.

"قيل لي انه ليس في مقدور أي شخص أن يفعل شيئا".

وخفت صوتها، وشعرت بقبضة يد غارث وقد التفت أصابعه حول أصابعها، وبدأ الألم يتلاشى أيضا، وشعرت بالهدوء العميق يسري داخلها.. كانت تلك هي النهاية، لأنها شعرت الظلام يجتاحها بسرعة أكثر.

"غارث... ابق معي".

"سأبقى يا حبيبتي".

وتلاشى صوته المهزوز الخفيض وسط حالة اللاوعي المتزايدة التي تجتاحها وأصبح الرجال الآخرون في الحجرة مجرد ظلال تتحرك أمام نظرها المغلف بالضباب، وهمست وهي تمسك بيد غارث بقوة.

"زال الألم، ولن يعود مرة أخرى".

"القرص هو الذي أزال الألم ياحبيبتي".

وأغمضت عينيها وقالت:

"إنني أحبك يا غارث".

"عزيزتي لا تتركيني! تماسكي بضع ساعات أخرى، أقول، تماسكي".

وكان صوته عنيفا وآمرا الآن، وحتى وهي في حالة تشبه اللاوعي، أدركت أنه يعاني من ألم كبير، وقالت وهي تعطيه، بأعجوبة، واحدة من أبهى ابتساماتها التي يعرفها جيدا:

"عزيزي، غارث، ليس هناك ما يستطيع أحد أن يفعله، كنت أعرف عندما جئت الى السفينة بأنني في الغالب لن أتركها حية".

"توقفي! أقول توقفي"!

"سيد ريفرز، ينبغي أن أسألك...".

"اهدأ... وأسرع أكثر بالله عليك".

وفتحت وندي عينيها، هل كان غارث يحدث القبطان؟ وحذرته وقد أجبرت ضحكة أن تظهر فوق شفتيها:

"يمكنه أن يقيدك بالأغلال"!

ومن خلال الضباب الذي غلف عقلها أدركت أن نوعا من الحركات المضطربة تجري خارج الباب. ثم سمعت صوت مارجي وهي تطلب الدخول وتقول:

"إنها صديقتي الصغيرة، لذلك فانها تريد أن

تراني بالطبع. قالت انها ستفضي الي بسرها، لكن يبدو لم يكن لديها الوقت الكافي".

"سيدة سترومبرغ عليك ان تذهبي".

أكان هذا صوت القبطان؟ واكتست جبهة وندي بتقطيبة عميقة.

"أحسست بأن هناك شيئا ما، لكنني لم افطن لحظة واحدة أنها ستموت".

وتوقفت مارجي لحظة، ثم قالت بنبرة أكثر نعومة وتوسلا:

"دعني أراها، أرجوك، ينبغي ألا تموت دون أن أراها".

وتحدث غارث بنبرته الهادئة المهذبة:

"وندي لن تموت يا مارجي. وعلى أية حال، وبإذن القبطان، يمكنك الدخول لحظة، أعتقد أنها ترغب في ذلك".

وصرخت وندي:

"لكنني سأموت! ينبغي ألا يراودك الأمل هكذا يا غارث، ليس مقدرا لنا أن نكون معا".

ولم تستطع أن تراه، لكنها أحست بأن وجهه صار أكثر شحوبا من أي وقت، ينبغي أن تفعل شيئا لتجعله يدرك مدى اليأس من حالتها، وقالت:

"ليس هناك أحد على استعداد لإجراء الجراحة، لأنني، ببساطة، لا املك فرصة للبقاء".

وجاء صوت مارجي:

"عزيزتي"...

وسرت وندي اذ سمح لمارجي بالدخول ومضت مارجي تقول:

"فهمت الآن لماذا بعت بيتك"...

وتوقفت وقد أدركت فجأة أن هذه ليست هي الطريقة المثلى للحديث وعلى الأقل الى وندي:

"غارث، سأخبرك بكل شيء فيما بعد".

وتجهمت وندي، أتخبره ببيع بيتها لتشترك في الرحلة البحرية؟ لم تكن تعتقد أن غارث يهتم بأمور كهذه، وتحدثت مارجي ثانية، لكن كلماتها كانت غير واضحة:

"علمت من أول الرحلة أنك شخص هام لكنني لم أكن أحلم بأنك سير جيمس ريفرز جراح الأعصاب المعروف".

وأصبح الظلام شبه كامل، وأمسكت وندي بيد غارث بقوة أكبر من أي وقت، وبشجاعة رسمت ابتسامة على شفتيها وهي تقول:

"إني راحلة"....

واجتاحها هدوء جميل لأنها أصبحت في فراغ لا يمكن للألم أن يمسها فيه، وفكرت وسط الضباب: إنني لم أنقذ غارث بعد كل محاولاتي، فسيحزن لأجلي.

لكنها كانت خارج أي وعي حيث يمكن للأسى أن يسيطر على مشاعرها، وكانت تغوص بسرعة الى أعماق النسيان، حيث لا شيء يمكن أن يقلقها بعد ذلك.

وكانت عيناها مغمضتين، وعندما خبت لديها آخر فكرة سمعت غارث يقول:

"تماسكي... أقول لك أنك ستتماسكين".

ثم لم تسمع شيئا آخر.

وفتحت عينيها وأخذت تحدق في السقف، وطرف حاجبها في تقطيبة وهي تحاول أن تركز، أجل، مرت باحدى حالات اللا وعي، لكن كان من المنتظر أن تكون هذه هي الأخيرة.

كم من الوقت مر عليها وهي غائبة عن الوعي؟ فكرت أنه ليس كبيرا لأنها لا تزال فوق السفينة، ولاحظت الضوء الخافت، والجدران البيضاء. وبدأ الظلام يهبط مرة أخرى، وأدارت رأسها لترى غارث يجلس هناك فوق كرسي بجوار الفراش، رأسه بين يديه، انه إخصائي الدماغ المعروف السير جيمس ريفرز الرجل الذي أمره أطباؤه بالراحة لأنه كان يعمل فوق طاقته عبر سنوات عدة. كان قدره ثمينا جدا بالنسبة لزملائه، وحركت يدها، وفي الحال أحست بلمسة غارث القوية الدافئة، غارث، ينبغي أن يكون اسمه سير جيمس غارث ريفرز أو أنه انتحل فقط اسم غارث؟ قال انه سيجري الجراحة. على الأقل اعتقدت قال ذلك. لكنهم لا بد أن يكونوا قد وصلوا الى المستشفى في لوس أنجلوس أولا. وكان الضوء يزداد مرة أخرى لكنه

خفت وترك أشباحا، ووصل صوت اليها:

"هل تشعرين بأي ألم ياعزيزتي"؟

ورسمت شبه ابتسامة على شفتيها وقالت:

"لا، إنني أشعر باسترخاء جميل".

وكانت هذه الكلمات تستهدف طمأنته، لكنه، لدهشتها، تجهم بشدة وقال وقد اختفت النبرة اللطيفة من صوته وأصبح جافا:

"فقط تماسكي، بعد ساعتين أخريين أو نحو ذلك سنكون في لوس أنجلوس وسأجري الجراحة".

"لا أمل هناك، لقد أكدوا لي ذلك".

ورد بخشونة:

"هناك أمل دائما".

"لكن يا عزيزي غارث".

وتوقفت كلماتها عندما زاد الضغط على يدها اذ كانت أصابعه تشدد قبضتها عليها، وكرر:

"هناك أمل دائما، ينبغي ألا تيأسي، فاليأس موقف من العقل، يجب أن تقاوميه".

كان بوسعها أن تفهم مشاعره وأحاسيسه القوية العنيفة في هذا الموقف الذي يتهدد حياة حبيبته. انه لم يستطع أن يفقد الأمل، وعرفت أنه جلس هناك بلا حراك وهو يحثها على التماسك قائلا انها ينبغي أن تعيش، انها سوف تعيش.

ووعدته:

"سأتماسك، سنكون هناك خلال ساعتين كما تقول"؟

"نحو ذلك، وحينئذ ينبغي لنا أن ننقلك الى المستشفى".

ونظر اليها نظرة حب ورقة واحترام عميق، وقال وقد أخذ صوته يرتعش مشحونا بالعواطف:

"انت فتاة شجاعة".

"ستنقذني على ما أعتقد".

"ضعي ثقتك في ياعزيزتي، وسيساعدني هذا في مهمتي".

وكان جميع المعنيين بالأمر في حالة استعداد عندما رست السفينة ولم يسمح لأحد بالنزول الا بعد أن أنزلت وندي على نقالة وهي في حالة نصف وعي وظل غارث

ممسكاً بيدها طول الطريق الى المستشفى، وقد أصبح وجهه متوترا وشاحبا بعض الشيء، وبدا أكبر بعشر سنوات... فكرت في ذلك وهي تبذل جهداً يائسا لقمع صرخات الألم التي ارتفعت الى شفتيها، لأن القرص الذي أخذته عندما عاودها الألم منذ نحو ساعة لم يعد يجدي، لكنها بين حين وآخر، كانت تسمح لأنة ألم خفيضة أن تفر من بين شفتيها لأن الألم الفظيع الناجم عن الضغط على رأسها كان فوق طاقة احتمالها.

وحالما أصبحت داخل المستشفى نقلت الى مركز الاشعة، لكنها، لسبب ما بعدما نقلت فوق عربة بعجلات حوالي ياردة فقط توقفت الممرضة التي كانت تدفع النقالة، وغابت لبضع ثوان، وحينئذ سمعت وندي صوت غارث وهو يتحدث مع أحد الأطباء:

"رأيت صور الأشعة التي التقطت من قبل، أرسلها طبيبها الى القبطان.. جميع الظواهر تدل على أن حالتها ميؤوس منها، لكنني أرى أن هناك فرصة ضئيلة، وأملي أن يسمح لي بإجراء الجراحة".

وعادت الممرضة، ولم تسمع وندي شيئا آخر.

وعادت الى وعيها بعد بضع ساعات، واستلقت برهة وهي تشعر بدوار، وعدم ادراك، ثم وضعت يدها على رأسها، وأدركت أنها ملفوفة في الضمادات، لكنها لم تتذكر شيئا مما حدث بعدما عادت الممرضة وبدأت تدفع عربة النقالة الى قاعة الأشعة.

وكان عقلها لا يزال مهتزا، وأفكارها مشتتة، لكنها عرفت أن العملية الجراحية أجريت، ولا تزال حية!

وكان غارث هناك عندما فتحت عينيها بعد مدة طويلة، وجهه الحبيب لا يزال قاتما متوترا، لكن عينيه كانتا تشعان لها بنظرة رضى عميق« الانتصار والابتهاج والتواضع» كلها كانت مكتوبة هناك في قسماته ورسمت وندي ابتسامة على شفتيها الجامدتين الجافتين، وقالت ببساطة وفي صوت واهن:

"أشكرك يا غارث".

"شكرا لك يا عزيزتي بصمودك. لم يعد هناك خطر الآن. لا خطر، هل حدث أن تلقى أي شخص كلمتين آخريين بمثل هذه الفرحة والامتنان"؟

ورقدت هادئة لحظة طويلة، وهي تتمتم بالصلاة شكرا على نجاتها.

"لا خطر".

كررت الكلمتين مرة أخرى وابتسمت عيناها وشفتاها بتلك الطريقة الرائعة الخاصة بها وحدها، أما ابتسامة غارث فلم تكن وشيكة الظهور، وعرفت بالحدس، أنه يستحيل عليه أن يبتسم، فكان غارقا في التفكير، ولم تعرف إلا فيما بعد الى أي حد كانت قريبة من الموت أثناء الجراحة. كيف كان الخيط الذي تتعلق به حياتها دقيقا رقيقا رفيعا، وأخبرت فيما بعد أيضا بحالة الهذيان التي انتابتها أثناء العملية حيث كانت حياتها معلقة في كفة الميزان مرة أخرى.

"هناك دواء خاص جدا ولحسن الحظ أنه متوفر هنا في المستشفى، هذا الدواء سيضمن اجتيازك مرحلة الخطر بسلام".

عاد صوته الآن الى طبيعته، وبدأ وجهه يستعيد نضارته، وأضاف برقة:

"نامي يا حبيبتي، سنتكلم عندما تصبحين أقوى قليلا".

"آسفة اذ تسببت في تألمك، كان ذلك ضروريا، ألا ترى"؟

"قلت نامي، أنت بحاجة الى النوم يا حبيبتي".

"هل يمكنني أن أسأل منذ متى وأنا هنا"؟

"منذ يومين".

"هل كنت فاقدة الوعي طول هذه المدة"؟

وبدأ جفناها ينسدلان، وراقبها في صمت، وأدركت أنه لن يرد على أية أسئلة أخرى، وغلبها النوم سريعا، وأحاطها بسلام وساعدها على الشفاء.

ولم يسمح لها غارث أن تتكلم بإسهاب إلا بعد أيام عديدة أخرى، وكانت لا تزال تحت رعايته إلا أن جراح الأعصاب بالمستشفى، الذي لم يقبل أن يبقى في الظل

رغم أنه سمح لغارث بإجراء الجراحة، كان يزورها من حين الى آخر، لمجرد الاطمئنان على تقدمها، وسمعته يتحدث مع غارث ذات مرة خارج باب غرفتها، حيث ظنا أنها نائمة، يتحدثان "عن المعجزة" التي حدثت في المستشفى - وكان الجراح المقيم هو الذي ذكر الكلمة، وجاء تعليق غارث الهادىء:

"كانت لديها ارادة الحياة، ليس لي أي فضل في انقاذها".

"وماذا عن الفترة التي كانت غائبة فيها عن الوعي؟ إرادة الحياة لم تكن تعمل حينئذ".

"قبل ذلك أوضحت لها أنها يجب أن تتماسك، وفعلت".

ونظرت وندي الى الباب الذي كان مشقوقاً وقالت بنعومة:

"لا تطنب كثيرا في شجاعتي، كنت أشعر بخوف فظيع، لكنني أدركت أنني لن أكون خائفة لو كنت معي في النهاية".

تلك الليلة قرر أن يقضي معها ساعة أو نحو ذلك بعدما أكلت بشهية لإرضائه. والتقط يدها في يده وهو يقول:

"لماذا لم تفضي الي بسرك"؟

"لم يكن باستطاعتي التحدث عن الأمر، ألا ترى أنني كنت اتمتع بأي شيء تقدمه لي الحياة؟ لو تحدثت عن مصيري لأفسد ذلك كل شيء".

وقاطعها قائلا:

"لكنه لم يكن سيفعل، نظرا لما كانت عليه الأمور".

"يبدو أنك نسيت أنني لم أكن أعرف من أنت، أنت الذي كنت تقوم بالرحلة متنكرا، ومع ذلك كنت فظيعا معي عندما كنت تشك في أنني لينيز مافارو".

"هذا مختلف تماما - فلينيز مافارو لم تكن المرأة التي أرغب في اتخاذها زوجة، واذ كنت واقعا في حبها"...

"يا إلهي"...

لم تستطع مقاومة مقاطعته، وقد أضاءت عيناها بروح الدعابة. ونظر اليها بحدة وقال:

"ذكريني أن أضربك عندما تشفين تماما"!

وضحكت مرة أخرى وقالت:

لا يمكنك أن تخيفني بتهديدات مثل هذه".

"أرى أنني سأواجه بعض المتاعب".

لم تفتها نبرة الاغاظة في صوته:

"ما زال أمامك الوقت الكافي لتغير رأيك بشأن... بشأن"...

وتلاشى صوتها وأصبح صمتا مرتبكا عندما أدركت ما كانت على وشك أن تقوله..

"بشأن عرضي عليك بأن تصبحي زوجتي؟ لا خوف بخصوص ذلك يا وندي فأنت الفتاة المناسبة تماما لي".

وارخت رموشها الجميلة، وحدقت في ملاءة السرير وهي تتلهى بحافتها، والشيء الوحيد الذي استطاعت أن تقوله هو:

"لا أستطيع أن أصدق أن هذا كله حقيقي".

وردا على ذلك رفع وجهها، وأمسك بذقنها في راحة يده، وقرأت في عينيه ما كان على وشك أن يعبر عنه.

"إنني أحبك وأريدك زوجة لي، لا حاجة لأن تقولي لي أنك ستتزوجينني لأنني أعرف أنك تحبينني، وقد أحببتني منذ وقت".

ولم تخطىء اللمحة المفاجئة في صوته، وتكدرت عندما مرت بخاطرها ذكرى إيذائه. وحاولت أن تشرح، وأن تخبره كيف أرغمت على رفض شو لأنه أصبح متعلقا بها أكثر من اللازم، وواصلت بدون تفكير:

"معك شعرت بأن الأمر لا يهم لأنك لن تتألم، اعتقدت أنك تغازلني فقط".

"ربما كنت في البداية".

"عندما اعتقدت أنني لينيز"؟

"هذا صحيح".

"بالطبع لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنك تظنني لينيز".

"كلا.. لم تكوني تعرفين".

وجعلها شيء ما في نبرته تنظر اليه نظرة شك وقالت:

"إنك تجد شيئا للمزاح على حسابي".

"ليس هناك شيء من هذا القبيل، انني منصت بكل اهتمام".

"لو كنت ستضحك مني".

"بل أضحك معك ياعزيزتي، لكن أرجوك استمري، انني تواق الى الرد على عديد من الأسئلة المحيرة، كنت تقولين إنك اعتقدت أنني أغازلك"·

وتوقفت، وهي تفكر في هذا الوجه الآخر له· فقد كان يتمتع بروح دعابة كبيرة·

"لأنني اعتقدت أنك تغازلني شعرت بأنني أستطيع أن أستغلك، لو كنت تعرف ما أعني"؟

"لدي فكرة واضحة عما تعنين"·

"اعتقدت أنك ستكون قادرا على توديعي عندما يحين وقت فراقنا"·

"اعتقدت بالطبع أنك ستعيشين حتى نعود الى انكلترا"؟

وتذكرت الآن أنه تلقى بعض المعلومات عن حالتها من طبيبها وكانت تنوي أن تسأله عن ذلك من قبل ولكن لم تكن هناك فرصة وردت:

"لم أكن واثقة، كنت آمل بالطبع في أن أحيا"·

"وماذا كنت تنوين عمله حينئذ؟ أخبرتني مارجي بأنك بعت بيتك للاشتراك في هذه الرحلة"·

"كنت سأذهب الى دار للرعاية، وكان طبيبي يرتب لي كل شيء"·

لم تعرف مدى الاحترام العميق الذي صار يكنه لها للطريقة التي تقبلت بها مصيرها، واستعدت بهدوء، لمواجهة كل الاحتمالات·

"الواضح أنك لم تعرفي أن طبيبك أخبر القبطان بحالتك الخطرة"؟

وهزت وندي رأسها ومضى يقول إن هذا كان ضروريا حتى يمكن لطبيب السفينة أن يلاحظها بدقة·

"الطبيب كان يعرف حالتي طول الوقت"؟

"الطبيب والقبطان، تقريرك وصور الأشعة سلمها أيضا طبيبك"·

"سمعتك مصادفة تخبر الطبيب بأنك رأيت صور الأشعة، وكنت أنوي أن أسألك عن ذلك"·

وأومأ وقال:

"علم القبطان اخيراً بأن هناك جراح أعصاب في السفينة وطلب مني مقابلته، له جناح صغير بعيد عن مقره العادي، ودعاني الى هناك لتناول قهوة الصباح الباكر معه، عندما رآني الليلة السابقة، وقال ان المسألة عاجلة وطلب مني الحضور الى جناحه صباح اليوم التالي، وهذا ما فعلته، وشرحت له أنني أقوم بالرحلة باسم عادي السيد ريفرز لأنني لا أريد أن يعرفني أحد، اذ جئت للراحة"·

وتوقف لحظة، وأخبرته كيف أنها هي ومارجي كانتا تتوقان لمعرفة مهنته وقالت ضاحكة:

"سئل فريزر مباشرة، أجل من جانب مارجي، وأخبرها بأنك تقوم بالرحلة لأن طبيبك الخاص أمرك بالراحة لفترة طويلة"·

وبدا مبتهجا وأعرب عن رأيه في أن مارجي انتكست لأنها عجزت عن اكتشاف المزيد عنه·

"قال فريزر إنك كنت مرهقا بالعمل منذ سنوات"·

ونظرت وندي اليه، لكنه لم يعلق بشيء، ثم أشار الى حديثه مع القبطان وقال انه رغم أنه طلب من القبطان معرفة اسم السيدة مثار المناقشة، الا ان القبطان رفض اعطاءه اياه قائلا ان رغبة صاحبة الحالة هي أن يظل أمرها سرا، لكن لو حدث لها أي شيء وهي فوق السفينة فانه سيطلب من غارث أن يكون مستعدا للمساعدة اذا أمكنه ذلك·

"أعترف بأنني أنظر الى كل امرأة تقترب مني نظرة فاحصة"·

"هناك أوقات كنت فيها تبدي قلقك علي بوضوح، وينبغي أن أعترف بأنك كنت تبدو كطبيب في مناسبة أو اثنتين، لكن هذا كان قبل ذلك الحديث بينك وبين القبطان"·

وحدق فيها، وحينئذ فقط أدركت أنها زلت بلسانها وسأل:

"كيف عرفت متى تم الحديث"؟

وتوقفت، لكنها أخبرته بأن مارجي، وهي تتجول في أنحاء السفينة في ذلك الصباح الباكر، قررت أن تكتشف ما وراء ذلك الباب الخاص واستدركت:

"لكن من الواضح أنها لم تسمع عما كان الحديث يدور··· قالت إنها تشعر بالحيرة بخصوصك وبخصوصي أنا أيضا"·

"تحدثنا أنا وهي حديثا طويلا".
كان هذا كل ما قاله، لكن وندي استطاعت أن تتصور أن مارجي أخبرته بكل شيء يدور في خلدها، واستطرد غارث بمرح:
"حول تلك الأوقات التي كنت أبدو قلقا فيها، كان الطبيب هو الذي يتحرك بداخلي، كان وجهك يشحب أحيانا وطبيعي أن ألاحظ ذلك، لكن كان مستحيلا أن أعرف أنك تشكين من شيء خطير، اذ كنت تبدين في غاية الصحة. أعتقد أنه في الفترات التي كنت تقضينها في غرفتك كنت تعانين من الألم في رأسك"؟
"أجل، هذا صحيح".
"لم يكن ينبغي أن تحتفظي بذلك لنفسك، لو كنت فقط ذكرت شيئا لي".
وتوقف وهز كتفيه بلا مبالاة وقال وهو يبتسم:
"لا يهم، كل شيء أصبح الآن في الماضي، ستشفين بسرعة ياعزيزتي، ثم تصبحين تحت رعايتي بقية حياتك".
وردت ابتسامته، وساد الصمت لحظة طويلة في الغرفة، وبعدها قالت:
"رأيتك مع القبطان قبل أن أمرض بلحظات، هل كان... أعني"...
"بعد ابلاغه بأنك ستغادرين السفينة في لوس أنجلوس قرر إخباري بأنك الفتاة التي حدثني عنها. كان قلقا بشأن قرارك المفاجيء. ولهذا تشاور معي. اعتقد أنه ينبغي اقناعك بالبقاء فوق السفينة لأن الواضح أن طبيبك أبلغه بأنه ليس لك أقارب الا ابن عم من بعيد. وهكذا عرف أنك تكذبين عندما قلت ان لك أقارب في لوس أنجلوس".
ورمقته بنظرة الاحساس بالذنب وقالت:
"اعتقدت أنني أفعل الأفضل، لم أكن أرغب في أن تصاب بألم، يا غارث".
"لكنك تأخرت والألم اصابني بصورة سيئة للغاية".
"لم أكن أريد أن تعلم أنني سأموت".
واستدارت لتنظر اليه. ورأى عينيها تلمعان

بالدموع وارتعشت قائلة:
"عزيزي غارث، لم أستطع أن أفكر بأية طريقة أخرى".
وانحدرت دمعة على خدها، وأحضر منديلا، وجففها به ثم مد ذراعه وقربها من صدره، وهو يغمغم:
"لا تزعجي نفسك بهذا، لم يكن ينبغي لي أن أقول شيئا عن مشاعري".
"لكن كان ينبغي بالطبع أن تقول".
وعندما لم يعلق بشيء، واكتفى بضمها الى قلبه، أخبرته كيف كانت تحس عندما اعترفت فيما بعد وهي في حالة اللاوعي الجزئي، بأنها تحبه وقالت:
"عرفت حينئذ أن الوقت متأخر لحمايتك من الألم، وبدا لي أنه ينبغي أن أخبرك بحبي لك".
"كنت أعرف بالفعل، هل تعتقدين أنني لم أفهم، في أسرع لحظة يمكن تصورها، السبب في قرارك بمغادرة السفينة"؟
"بالمعلومات التي كانت لديك لابد أن هذا كان واضحا".
ولم يقل غارث شيئا، وكان قانعا بأن يضمها الى صدره بهدوء، وقد التصق خده بخدها، وفكرت في المستقبل ودهشت من أنها لا تزال حية وأنها هي وغارث سيصبحان قريبا زوجين.
ووضعت يدها على الضمادات المحيطة برأسها وقالت متسائلة:
"أليس لي أي شعر على الاطلاق"؟
سألت هذا السؤال لأنها رأت بعيني خيالها صورة حفلة زفافها وتجهمت عندما فكرت في أنها سترتدي شعرا مستعارا.
"أخشى أن يكون شعرك قد حلق تماماً، لم يكن فقده شيئا ذا قيمة".
"لا، الواقع أنه لم يكن كذلك، كنت فقط أفكر في"...
واجتاحها الخجل فأسكتها لكن غارث عرف ما كانت تعنيه فقال:
"الصدمة التي يصاب بها الجهاز العصبي بعد عملية كهذه كبيرة الى درجة أن المريض يحتاج الى ستة أشهر كي

يستعيد صحته تماما، سنعلن خطوبتنا فور عودتنا الى انكلترا، لكن بقدر ما كنت أتمنى أن نتزوج بسرعة، علينا أن ننتظر، سيوفر لك هذا أيضا الفرصة، لكي ينمو شعرك ولكي تتعودي على أساليبي الآمرة أيضا".

وقطعت وندي صمتا طويلا قائلة:

"هل ستظل دائما تعمل فوق طاقتك كما تفعل الآن"؟

"لن أضطر الى ذلك، فهناك اثنان آخران من جراحي الأعصاب في المستشفى الآن، لذلك لا يمكن أن أظل أعمل كما كان يحدث طوال السنوات الأربع أو الخمس الماضية".

وشعرت بالسعادة تغمرها من رده، اذ لم تكن تريد أن يضيع صحته بالعمل المرهق، ورغم أنها كانت أمينة بما فيه الكفاية للاعتراف بأنها أنانية، بعض الشيء، فانها كانت تريد بالفعل أن يظل زوجها معها أطول وقت ممكن.

"فريزر قال انك كنت ترهق نفسك بالعمل أربع عشرة أو ست عشرة ساعة في اليوم لمدة سبعة أيام في الاسبوع أحيانا".

قال بحدة:

"فريزر يتكلم أكثر من اللازم".

لكن وندي كانت واثقة أن فريزر قال الحقيقة، وعلى أية حال فقد شعرت بأن غارث متردد من سماع أي شيء آخر عن الموضوع، لذلك تجاوزته وسألت عن السفينة والناس الذين أقامت معهم علاقات صداقة، فقال لها:

"مارجي أصيبت بأسى فظيع، لكنني أرسلت رسالة الى القبطان وسيذيعها في مكبر الصوت بأن العملية نجحت فهناك بالطبع كثيرون فوق السفينة يرغبون في معرفة احوالك".

وقالت موافقة:

"أجل فريزر وصديقته، وديني ومارجي بالطبع".

وتوقفت عن الكلام وقد استغرقت في التفكير بالآخرين الذين أقامت معهم صداقات ثم قالت:

"جميعهم سيعرفون بما فعلته".

واكتفى غارث بالابتسام، وأدركت مرة أخرى أنه لا يرحب بمزيد من الحديث عن هذا الموضوع وبعد لحظة

قال بحزم:

"حان الوقت لترقدي الآن. غدا قد أسمح لك بالنهوض".

"حقاً"؟

"لمدة نصف ساعة فقط، وفقط اذا كنت فتاة طيبة ورقدت الآن".

"سأفعل".

وفعلت ذلك في الحال، رغم أنها شعرت بأنها أبعد ما تكون عن الارهاق:

"طابت ليلتك ياحبيبتي العزيزة، سأراك في الصباح".

وهمست برقة وهي تنظر اليه بعينين براقتين من فوق الوسادة:

"طابت ليلتك.. ان الحياة جميلة حقا! شكرا لأنك أعدتها لي".

ولم يقل شيئا وعبر من الباب ثم أغلقه خلفه في نعومة.

* * *

وتزوجا بعد ذلك بستة أشهر في كنيسة لطيفة في قرية "بورتونويل" في "دورست" حيث يعيش والدا غارث، واشترى غارث بيتا جميلا مبنيا بالحجارة على مسافة غير بعيدة منهما، وكانت الشمس تشرق من سماء صافية الزرقة عندما خرجت وندي من الكنيسة لتواجه، مع زوجها، عدداً من الآت التصوير، بعضها في أيدي الصحفيين، وبعضها في أيدي أصدقاء أو أقارب، وبعضها في أيدي أطفال.

"قفا جانبا قليلا ياعزيزتي... كنت دائما أعرف أنكما ستصبحان زوجين رائعين... ديني... أنت على حق في التقاط صورة لهما من هذه الزاوية الجانبية! آمل أن تكون قد وضعت فيلما جديدا في آلة التصوير".

"عمي غارث وعمتي وندي.. هلا تمسكان أيديكما بعضها مع البعض"؟

"وندي، يجب أن تبتسمي".

وتكتكت آلة التصوير مع فريزر حين أطاعته

وابتسمت ابتسامة أخرى، وقالت فيكي بنبرة اعتذار:
"الا يمكن أن ألتقط صورة؟ أنا واثقة من أنكما متعبان".
"كلا على الاطلاق".
قال غارث ذلك بلهجته الهادئة، وقبلت والدته وجنتي العروس، بينما التقط أبوه صورة سريعة لهما. وطول ذلك الوقت كان مراسلو الصحف يدونون الملاحظات.
لكن أخيرا، انتهى كل شيء، وأصبحت العروس والعريس وحدهما في غرفتهما في فندق "سافوي" بلندن، حيث كانا يقضيان الليلة الأولى من شهر العسل قبل أن يطيرا الى فيدجي، حيث كانا سيقضيان الأسابيع الثلاثة التالية.
"كم كان يوما رائعا"!
قالت وندي، اذ شعرت بأن عليها أن تفوه بشيء بعدما أصبحت تشعر بخجل شديد مفاجيء، ثم استطردت:
"كل شيء مر بهدوء، والشمس أشرقت، وكان الجميع سعداء، ألم تكن والدتك رائعة في ثوبها المرجاني؟ حفل الاستقبال كان... وسمحت لصوتها بأن يتلاشى عندما لمحت التعبير الساخر في عيني زوجها الذي قال بنعومة":
"أجل ياحبيبتي... كل شيء كان كاملا، ومع ذلك لدي أشياء أخرى أكثر أهمية للتحدث بشأنها في الوقت الحالي... عروستي الجميلة - مثلا -".
"لم أكن في حياتي فخورا كحالي عندما خرجت من الكنيسة بعدما اتخذت منك زوجة".
كانت في صوته الآن نبرة فخر، بينما أطلت من عينيه نظرات حب عميق ورقة جعلت أنفاسها تتوقف.
ولأن العواطف ملكت عليها كل كيانها فجأة، فقد التصقت به بشدة، ودفنت وجهها في صدره:
"هل تبكين"؟
سأل بتفهم محاولا أن يبعدها عنه حتى يرى بنفسه ما اذا كانت الدموع تملأ عينيها.
"كلا، بالطبع، لا"!
قالت ذلك بلهجة النفي، وفي الحال امتدت أصابعها الى رموشها خوفا من أن تكون دمعة شاردة قد فرت من

بين سحابة العواطف الجياشة التي تجمعت خلف عينيها، وأخيرا قال:
"في هذه الحالة يمكنك أن تدعيني أرى واحدة من ابتساماتك الرائعة".
ومرت لحظة توقف قبل أن تبعد رأسها عن صدره وتنظر اليه، وأضاءت وجهها ابتسامة مثل شعاع من الشمس امتد الى عينيها وقالت بانتصار:
"ها أنت ترى، قلت انني لا أبكي".
لكن شفتيها الجميلتين كانتا ترتعشان، وتقوس فمه في ابتسامة فرحة رقيقة، وهزها برفق قبل أن يضمها ثانية اليه.